الصِّرَاعُ بيْنَ الكَنِيْسَةِ وَالعِلْمِ

أَسْبَابُه وَآثارُه

إعداد الدكتور

أحمد بن عبدالله آل سرور الغامدي

أستاذ مساعد بكلية التربية بجامعة الملك عبدالعزيز

المقدمة

الحمدُ لله الذي علّم بالقلم، علمَ الإنسان ما لم يعلم، والصلاةُ والسلامُ على من أوتي جوامع الكلم، وأُرسلَ إلى العرب والعجم، خيرِ رسل الله تعالى، محمد بن عبد الله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه، وعلى من سارَ على نهجه إلى يوم لقاه، أما بعد:

فإن الله تعالى خلقَ الإنسانَ في أحسن تقويم، وكرمهُ على سائر خلقه أجمعين، قال تعالى: M _ ` a b c d e f g h i j k l m n o L.(١)

وقد اختلف العلماءُ في سبب التكريم إلى أقوالٍ كثيرةٍ، بلغت أحد عشر قولاً (٢)، ومما ذكره المفسرون من أسباب التكريم، أنه خلقهم على هذه

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

(٢) يقول ابن الجوزي : (وللمفسرين فيما فضلوا به أحد عشر قولا، أحدها: أنهم فضلوا على سائر الخلق غير طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وأشباههم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المراد المؤمنين منهم، ويكون تفضيلهم بالإيمان. والثاني : أن سائر الحيوان يأكل بفيه إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس. وقال بعض المفسرين : المراد بهذا التفضيل أكلهم بأيديهم، ونظافة ما يقتاتونه؛ إذ الجن يقتاتون العظام والروث. والثالث : فضلوا بالعقل، روي عن ابن عباس. والرابع : بالنطق والتمييز، قاله الضحاك. والخامس : بتعديل القامة وامتدادها، قاله عطاء. والسادس : بأن جعل محمدًا صلى الله عليه وسلم منهم، قاله محمد بن كعب. والسابع: فضلوا بالمطاعم واللذات في الدنيا، قاله زيد بن أسلم. الثامن: بحسن الصورة، قاله يمان. والتاسع :

الهيئة، وميزهم بالخطِ، والنطق، والفهم، وأعظم ما كرّم به الإنسان هو العقل، الذي هو مناط التكليف [١]، قال "الشوكاني"[٢]: (ولا مانع من حمل التكريم المذكورِ في الآية على جميع هذه الأشياءِ، وأعظمُ خصال التكريم، العقلُ) [٣].

ولهذا مدح الله عز وجلّ العقلَ، والفهمَ، والعلمَ، في مواضع عديدة من كتابه الكريم،[٤]. وإذا تقرر أن العقلَ هو مناط التكليف، وأن الله تبارك وتعالى مدحه، ومدح العلم، وأنه سبحانه هو الذي أرسل الرسل – عليهم

بتسليطهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم، قاله محمد بن جرير. والعاشر: بالأمر والنهي، ذكره الماوردي. والحادي عشر: بأن جعلت اللحى للرجال، والذوائب للنساء، ذكره الثعلبي) زاد المسير في علم التفسير (٥/٦٢ – ٦٣) ، الطبعة الرابعة،١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، المكتب الإسلامي، بيروت.

(١) انظر عن ذلك : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٥ / ١٢٥) الطبري، دار الفكر،١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ، بيروت • الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٢٩٤).الطبعة الرابعة،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن، ولد سنة ١١٧٣هـ، ومات سنة ١٢٥٠هـ. له العديد من المؤلفات، منها: نيل الأوطار، وإرشاد الفحول، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، والتحف في مذهب السلف• انظر الأعلام (٦ / ٢٩٨)، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م، دار العلم للملايين.

(٣) فتح القدير (٣/٢٤٤). وذكر بعض الأمور التي قيل إنها من أسباب التكريم.دار إحياء التراث، بيروت، دون ذكر لرقم الطبعة، أو تاريخها. وانظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٥٥). ابن كثير، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(٤) راجع الاستقامة (٢/١٥٧) وما بعدها. شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ ، مكتبة السنة ، القاهرة.

السلام –، وأنزلَ الكتب، وشرعَ الشرائع، فإنـه من المحال أن يقع بين هـذه الأمور أدنى تناقض أو تعارض، وكل ما ثبتت صحته عقلاً وعلـماً، فإنـه لا يتعـارض مـع الـدين الـصحيحِ البتـة، وإن وجـد شيء مـن التعـارض أو التناقض، فالزلل يكون من جهتهما، لا من جهة الدين.

وإذا كان الله تعالى قد حفظَ دينَ الإسلامِ مـن التحريـف والتبـديل، فإنـه تعالى لحكمةٍ أرادها، وَكَلَ لأهلِ الكتابِ القيامَ بأمر دينهم، فكان ضـلالهم، وانحرافهم، وتبديلهم، لأمر الله تعالى، وأمرِ رسله عليهم السلام، وما وقـع هذا الانحراف والتحريف إلا بسبب اتباع الهوى، والبعدِ عن المـنهج الحـقِ والصراطِ السوي.

ومن الضلالات التي وقع فيها الغربُ نبذ الدينِ، والخروج على أوامـره، والنفور من أحكامـه. ولا شـكَ أن موقـف رجـال الكنيـسة وأفعـالهم [1]،

(١) ذكر "ول ديورانت" بعض ما كان عليه رجال الدين في العالم النصراني، وبعض ما كتب عـنهم حتى وُصف الرهبـان بأنهم "خدم الشيطان"، منغمـسون في الفـسق وبيـع الوظـائف الدينيـة، وكثرة نفاقهم، وشرههم، وجهلهم،وغطرستهم. انظـر : قـصـة الحـضارة (٢١/٨٤). ترجمـة محمــد بدران، دارالجيل، للطبـاعة والنشر، بيروت. تقـــول "كترين السينائية" : (إنك أينما وليت وجهك – سواء نحو القساوسة أو الأساقفة أو غيرهم مـن رجـال الـدين، أو الطوائـف الدينية المختلفة، أو الأحبـار من الطبقـات الدنيا أو العليا، سواء كانوا صغاراً في السن أو كباراً – لم تر إلا شراً ورذيلة، تزكم أنفك رائحـة الخطايـا الآدميـة البـشعـة، إنهـم كـانوا ضـيقو العقـل، شرهين بخلاء٠٠ تخلوا عن رعاية الأرواح ... اتخذوا بطونهم إلهاً لهم... ويطعمـون أبناءهم من مال الفقراء...ويفـرون مـن الخـدمات الدينيـة فـرارهم مـن الـسجـون). قـصة الحضارة (٢١/٨٥).

كانت سبباً رئيساً في هذا التصادم مع الدين، وأعني به هنا "الدين النـصراني المحرف"، وهذا ليس تبريراً لنفور الناس من الدين، أو التماس العـذر لهـم، ولكن نتيجة لتحجر الكنيسة، وسوء سلوك رجالها المشين، نفـر النـاس مـن الـدين، ذلـكَ لأن الكنيـسة تمـارسُ صـلاحياتها - التـي وهبتهـا لنفـسها - وغطرستها، وطغيانها، وفرض هيمنتها عـلى رقـاب النـاس باسـمه، فكـان لابد والحال هـذه، أن يثـورَ النـاسُ، ويعلنـوا الجحـودَ والكفـرَ بإلـه هـذه الكنيـسة ودينهـا؛ لأنهـا اسـتعبدتهم، وفرضـت القيـود حتـى عـلى طريقـةِ تفكيرهم، بل وقيّدت عقولهم، ومنعتها عن البحث إلا من خـلال معارفهـا ونظرياتهـا، كـما انفـرد رجـال الـدين الكنـسي بكـشف الحقيقـة، وتفـسير النصوص الدينية، والاستئثار بإصـابة الحـق في فهمهـا، وإيـضاح معانيهـا، وكأني بالكنيسة أرادت تعبيد الناس لها!!! فـما حكمـت لـه بالـصحة فهـو الصواب، وما حكمت ببطلانه فهو الكفر والإلحـاد، فاصـطدمت الكنيـسة بكثيرٍ من الكشوف العلمية ، والنظريات، التي جاءت على خلاف ما يقـرره كتابها المقدس، ورأت في النظريات العلمية - خاصة - تناقضاً مع نـصوص إنجيلها، فوقع الصراعُ مع العلم باسـم الـدين، مـع أن بعـض النظريـات لم تكن الكنيسة بحاجة إلى رفضها، أو تصديقها؛ فكلا الموقفين لن يؤثر عليهـا أو فيها، إذا كانت صاحبة حق، أو على ثقةٍ بما هو مدون في أناجيلها، ولو أن الكنيـسةَ لم تعـاد المـستجدات والكـشوف والنظريـات العلميـة "التـي لا

تتعارض مع الدين ولا تناقضه"، أقول: لو أنها وافقت على ذلك وقبلته، لما آل الأمرُ إلى ما وصل إليه من نبذٍ لها، وكفرٍ بدينها، والبحث عن بديل للإله الذي تسلطت باسمه.

لقد كان لموقف الكنيسةِ من العلم والعلماء ونظرياتهم العلمية، أكبرُ الأثرِ في الصراع الذي حدث بين العلم والدين الكنسي في الغرب، -ولا زالت أوروبا تعاني منه حتى هذه اللحظة-؛ فالكنيسةُ جمدت عند النصوص التي لا صلة لها بالإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، بل ضمنت الأناجيلَ المعتمدة لديها بعض النظريات والفلسفات التي تعارضُ العقول، وتناقض بعض النظريات العلمية، هذا في حين تفتحت أذهان الناس لكثير من المكتشفات والحقائق التي يدعمها البرهانُ العقلي، ويصدقُها الواقع الحسي.

زد على هذا أثرَ المسلمين وحضارتهم، حيث غزت الحضارةُ الإسلامية البلادَ الأوروبية عن طريق الطلاب الذين درسوا في الجامعات والمدارس الإسلامية، أو عن طريق الحروب، أو عن طريق نقل المعارف الإسلامية إلى اللغات الأوروبيةِ،كل هذا جعلَ الإنسان في أوروبا ينقمُ على الكنيسة، وينفرُ من دينها.

إن الكنيسة قد جنت على الدين وذلك بسبب موقفها من العلم،

وصوَّرت الدينَ والعلم على أنهما عدوانِ لا يلتقيان أبدًا، فآمن الناسُ بالعلم لكثرة ما يوافق عقولهم عن طريقه، وكفروا بدين الكنيسة لكثرة التناقضات التي يحملها، وللعداء والصراع مع العلماء ونظرياتهم، وكان لهذا الصراع أثر في إبراز المذاهب الهدامة، والفلسفات الإلحادية، التي تعاني منها أوروبا حتى وقتنا الحاضر.

ومما يجب ذكره هنا، أننا إذا تجاوزنا الأخطاء الشخصية والسلوكيات الفردية[1]، فإن الإشكالية في اعتقادي الشخصي تأتي من كون رجال الكنيسة يمارسون أفعالهم باسم الدين، وعلى أنهم وسطاء بين الإله وبين

(١) يقول رولان موسنييه": (من يدقق في السجلات الرسمية والصكوك والوثائق والأضابير الكنسية إذ ذاك، تَعْترِهِ الدهشة لكثرة ما تقع منه العين على الدعوى والقضايا المقامة على رجال الدين، لأخلاقهم الفاسدة، وتصرفاتهم السيئة...) تاريخ الحضارات العام (٤/ ٧١).ترجمة، يوسف داغر، فريد داغر،عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ٢٠٠٣م. وذكر بعض الأمور المتعلقة بالرهبان وحياتهم، ثم قال: (هذا الوصف لا يقتصر على ناحية أو منطقة خاصة، فهو يطبق على جميع أنحاء أوروبا المسيحية). المرجع نفسه، ذات الصفحة٠ وانظر بعض ما ذكره ول ديورانت في كتابه: قصة الحضارة (٢١/ ٨٥-٨٦).

ويقول " سيبريان ": (لا يفكر أي منهم سوى بجمع الثروة... الوَرع والتقي معدومان في أوساط الكهنة، ولا طهارة في إيمان الأساقفة، أعمال الرحمة معدومة، وكذلك القواعد الأخلاقية) أصداء الزمن الكنيسة وكفاحها من أجل الوجود (٤٤). يان دوبراتشينسكي، ترجمة: الدكتور كبرو لحدو، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق. ويقول هربرت فيشر: (اتضح لكل العقلاء من الكاثوليك منذ زمن بعيد، أن الكنيسة قد أضحت كومة عالية من المفاسد). أصول التاريخ الأوروبي الحديث (١٦٩). ترجمة د/زينب عصمت راشد، د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى، الطبعة الثالثة،دون ذكر لتاريخها. دار المعارف، مصر.

خلقه، ومن ثمّ فإن أفعالهم حسب ما يظهرون للناس ممنوحة لهم بالحق الإلهي، ومن هنا فإن سخطَ الناس على الكنيسة ورجالها، بل وهروبهم من إلهها سيكون أمرًا محتومًا، إذ كيف يأمرون الناس بما لا يأتمرون به، وينهونهم عما هم واقعون فيه، فإن هذا السلوك يمقته العقل، وتأباه الفطر السليمة.

ونظرًا لكون هذا الصراع قد أحدث جفوة – وإن كانت مفتعلة – بين الدين والعلم في أوروبا، ولا زالت آثار ذلك الصراع حتى وقتنا الحاضر، فإني رأيت أهمية الحديث عن هذا الصراع، وبيان أسبابه، وآثاره. ويضاف إلى ذلك العديد من الأسباب من أهمها :

١- أن كثيرًا من علماء الغربِ لا يتصورون الإسلام إلا من خلال دين الكنيسة المحرّف، مما جعلهم يعادونه ويعادون أهله، كما يظهر من أقوالهم وتعميم أحكامهم، التي كان للكنيسة أكبر الأثر في وجودها.

٢- أن هذا العداء من قبل الكنيسة لازال مستمرًا، وأكثر الآراء والأفكار التي نادت بها الكنيسة قديمًا لا زالت تتوارثها الكنائس حتى وقتنا الحاضر.

٣- أن الكنيسةَ تحاول إظهار نفسها بصورةٍ مغايرة عما كانت عليه في الماضي، زاعمة رغبتها في الحوار والانفتاح الفكري، ولكنها دعوات مجردة تتهاوى أمام واقع الكنيسة، وما يظهر من فعال رجالها وأقوالهم.

وتهدف هذه الدراسة المختصرة إلى تحقيق بعض الأهداف. ومن أهمها - في اعتقادي - الآتي :

١- بيان أن الصراع لم يكن بين الدين والعلم، بل كان بين الكنيسة والعلم.

٢- إظهار أنه لا تعارض بين الدينِ الصحيح وما يثبته العلم ويقتضيه العقل الصريح.

٣- إبراز ضعف الكنيسة وهشاشة بنيانها، وذعرها من كل جديد؛ لأنها لا تقوى على تحديد موقفها تجاهه.

٤- بيان أن صراع الكنيسة مع العلم كان له آثار خطيرة على الحياة الأوروبية، ولا تزال كما يظهر ذلك في الفلسفات الإلحادية، والأفكار المادية.

٥- أخذ العبرة من جناية التسلط باسم الدين خاصة في تقرير الباطل، أو رد الصواب.

وقد اشتملت هذه الدراسة على تمهيدٍ ، وأربعةِ مباحث، وخاتمة، وأسأله تعالى السداد والإعانة.

المبحث الأول:

بداية الصراع.

شهدت أوروبا وجود الديانتين اليهودية، والنصرانية، وقد حرفتا، وورث الأوروبيون بقايا الحضارتينِ الماديتينِ السابقتين اللتين كانتا مليئتين بالأفكار الوثنية، وهما : الحضارةُ اليونانيةُ، والحضارةُ الرومانيةُ. وبناء عليه فإن الحضارة الغربية " المادية " ليست وليدة هذا العصر، بل هي امتدادٌ لما سبقها من الحضارات المادية القديمة، خاصةً "اليونانية" و"الرومانية"، حيث أخذت عنهما، واستقت منهما كثيراً، وتأثرت بهما تأثراً بليغاً، وأضحى ذلك واضحاً في فكرها، وفلسفتها، بل وفي شئون حياتها جميعًا [١].

ومن المعلوم تاريخاً أن الحضارة "اليونانية" [٢] سابقة للحضارة

---

(١) يقول"الندوي" : (ليست الحضارة الغربية في القرن العشرين المسيحي وليدة هذه القرون المتأخرة التي تلت القرون المظلمة في أوروبا أو حديثة، كما يتوهم كثير من الناس، بل يرجع تاريخها إلى آلاف من السنين، فهي سلسلة الحضارة اليونانية، والحضارة الرومية، قد خلفتها في تراثها السياسي والعقلي و المدني، وورثت عنهما كل ما خلفتا، من ممتلكات، ونظام سياسي، وفلسفة اجتماعية، وتراث عقلي وعلمي...). ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٥٦-١٥٧). الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. وانظر : تاريخ الحضارات العام (٢/ ٦٦١).

(٢) انظر عن بعض خصائصها : الدراسة المستفيضة في كتاب : تاريخ الحضارات العام (١/ ٢٧٩-٥٤٢).ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٥٨). التاريخ اليوناني (١٩٦) د. عبد اللطيف أحمد علي، دارالنهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦ م

"الرومانيــة" [١]، وقــد أخــذت الأخــيرة عــن ســابقتها. وبعــد أن دخــل "قسطنطين" [٢] في النصرانية، وتنصرت الدولة الرومانية، توقف الاضـطهاد عــن النــصــارى [٣]، وأخــذوا في إظهــار آرائهــم، وممارســة طقوســهم باطمئنان [٤] فأصبحت النـصـرانية ديـن الدولـة بعـد أن كانـت في الأمـس القريب دينا محـرماً [٥]، وعُقدَ عـدةَ مجامعَ، كان من أشهـرها، مجمـعُ "نيقيـة" سنة ٣٢٥م، وبعد منـاظرات الأسـاقفة بحـضور "قـسطنطين" أقـر المجمـع

(١) انظر عن بعض خصائصها : الدراسة المستفيضة في كتاب : تاريخ الحضـارات العـام (٢/ ٩٩-٥٢٢).ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٦٢ -١٦٣). الإمبراطورية الرومانية (١٢). ومـا بعدها. د. مصطفى العبادي، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.

(٢) أول إمبراطور نصراني في الدولـة الرومانيـة، تـولى الحكـم مـن عـام ٣٢٣م- ٣٣٧م، اعـترف بالديانة النصرانية، ودخل فيها، وبهذا خفت الوطأة على أهلهـا في فترة حكمه. انظر بعضًا مـن تاريخ حياته : قصة الحضارة (١١/ ٣٨٢-٣٨٦).أصـــداء الزمن الكنيسة وكفاحها من أجـل الوجود (٦٥- ٧٠).

(٣) انظر عن دخول قسطنطين في النصرانية : قصـــة الحـضارة (١١ /٣٨٧) ومـا بعـدها.وعـن الصـــراع بين الدولة والنصـارى: انظر: المرجع نفسه (١١ / ٣٧٠ – ٣٨١) معـــالم تـاريخ الإنسانية (٣/٧١٣ -٧١٧) ولز، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة الثالثـة، ١٩٧٢م، و تاريخ الحضارات العام (٢/٥٦١). وما بعدها.

(٤) انظر عن ذلـك بـشيء مـن التفـصيل :الإمبراطوريـة الرومانيـة (٢٤٧-٢٥٠). محـاضرات في النصرانية (١٢٦– ١٢٧) أبـو زهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨١هـ /١٩٦١م، دار الفكر العـربي٠ ٠ هداية الحيارى (٢٠٦) ابن القيم، الطبعـة الأولى، ١٤٠٧هــ /١٩٨٧م، دار الكتـب العلميـة، بيروت. تاريخ البشــــرية (٢/٥٥) أرنولـد تـوينبي، ترجمـة د/نقـولا زيـادة، الأهليـة للنـشر والتـوزيع، ١٩٨٨م، بيروت.

(٥) انظر : تاريخ الحضارات العام (٢/ ٥٦٥).أندريه إيمار، جانين أوبوايه.

عقيدة تأليه المسيح عيسى عليه السلام، والقول بالتثليث، واختيار الكتب التي تؤيد تلك القرارات، وحرق الأخرى[١]، وتتالت المجامعُ[٢]، وأقرت الوثنية، في العقيدة النصرانيةِ[٣]. ويمكن القول بأنَّ الصراعَ والعداء المنظم للعلم بدأ من ذلك الحين، فبعد أن وقع للنصارى ما أرادوا، رأت الكنيسة وأتباعها أهمية إبعاد الآثار الإغريقية، وكذا حرق الكتب والمكتبات، وما ذاك في نظري إلا لخوف الكنيسة من الآراء والأفكار التي قد تتعارض مع

(١) انظر : هداية الحيارى (٢٠٧). محاضرات في النصرانية (١٢٨٠١٣٢) قصة الحضارة (٣٩٤-٣٩٦).

(٢) انظر عن هذه المجامع : هداية الحيارى (٢٠٨- ٢١٨) محاضرات في النصرانية (١٣٣) وما بعدها ٠ معالم تاريخ الإنسانية (٣/ ٧٢١). ٠الإمبراطورية الرومانية (٢٥٥ -٢٥٩).

(٣) راجع بهذا الخصوص : كتاب الأصول الوثنية للمسيحية، من تأليف إدغار ويند، وكارل غوستاف يونغ، وقدم له اندريه نايتون، ترجمة سميرة عزمي الزين، الطبعة الأولى،١٤١١هـ/ ١٩٩١م، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، وقد ذكروا الأصول الوثنية للقداس، والتجسيد، والتثليث، وفكرة ابن الله، والأقانيم الثلاثة، وغير ذلك.وعن المجمع والعقيدة التي أقرها ، انظر : معالم تاريخ الإنسانية (٣/ ٧١٩ – ٧٢٠). ويرى "ولز" أن لشخصية قسطنطين أثر على تاريخ الكنيسة فيما بعد، حيث كان يعمل بغير معين، وكان يرى – أي قسطنطين – أنه لكي يستطيع أن يعمل فينبغي أن يكون غير مقيد بأية معرضة أو نقد، (ومن ثم يصبح تاريخ الكنيسة بتأثيره، سلسلة من الكفاحات العنيفة التي لا بد من حدوثها نتيجة لمباغتته الناس بدعوته الفجة إلى الإجماع على رأي، وعنه اقتبست الكنيسة الميل إلى الاستبداد، وعدم الخضوع للمسئولية، وإنشاء هيئة تقوم على المركزية وتعيش على غرار الإمبراطورية وإلى جوارها) المرجع نفسه (٣/ ٧٢١- ٧٢٢).

ما تذهب إليه، فيفقد رجالها الثقة فيهم، ويخسرون مكـانتهم ومنـافعهم[١].

وإلا ما من شك في أن الحضارة الإغريقية هي الأخرى وثنية.

وقد ذكر " ريبوني " أنه في عام ٥٠ م، أقيمت أول محرقةٍ للكتب، وأن "بولس"[٢] قام بمعاونة أتباعه، بحرق كتب قيمتها خمسون ألف قطعة من الفضة [٣].

ومن الملاحظِ أن كتبَ بعض الطوائفِ هي التي استُهدفت بالحرق، خاصة كتب النصارى الذين لا يقولون بتأليه المسيح عليه السلام [٤].

وبعد أن أقرَ مجمع "نيقية" عقيدة التثليث، وإدانة " آريوس" [٥] الذي

---

(١) يقول " بييترو جيانون" : (إن الكنيسة – وهي دائمـا نفعيـة، ودائمـا مستعدة للاستفـادة مـن الضعف البشـري، ولإغـواء القلوب المزعزعـة، وللاستفـادة من مخاوف ما بعد هذا العالم، أمـام سرير المريض، ولتكـديس الأموال والأملاك والفوائد على اختلاف أنواعها – قد خانـت رسـالتها على مر العصور). الفكـر الأوربي (١ /٦٥). وانظر : تـاريخ الحـضارات العـام (٤ /٥٩ – ٦٠). ووصـل الأمـر برجال الكنيسة إلى بيع المناصب الكنسيـة، من أجـل تحقيـق مـصـالحهم المـادية. انظـر : تاريخ الحضـارات العام (٤ /٦٠). و (٤/ ٧٠).

(٢) ولد في أسرة يهودية، كان في بداية حياته عنيفًا على النصارى، ثم تحول إليهم، ولم يلتـق بالمسيح عليه السلام، وكان فكره مزيجًا من الأفكـار الوثنيـة، واليهوديـة، والنـصرانية، انظـر : المسيحيـة نشأتهـا وتطورها (٩٩). سارلز جنيبير.

(٣) انظر : الإلحاد وأسبابه (٥٧ ، ٨٦).د/ زينب عبد العزيز، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، دار الكتاب العربي، دمشق.

(٤) انظر : المرجع نفسه (٦٥)

(٥) أحد رجـال الكهنوت، انتشـرت أفكـاره حوالي سنة ٣١٨م، واصطدم مع مجمـع الإسكندرية الذي كفره، وحجب كتبـه، وقال: إن عيسى عليـه السلام مخلـوق. مـن مـؤلفـاته " تـاليا"

يقول ببشرية عيسى عليه السلام، قرر المجمع طرده، وإحراق كتبه، وتحريم اقتنائها [١].

وقد ذكرت المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكة" بعض تلك الحقائق، فقالت : في أيام حكم القيصر "فالنس" سنة ٣٣٦م، حُولَ متحف الإسكندرية إلى كنيسةٍ، وسُلبت مكتبته، وطورد فلاسفته بتهمة السحرِ والشعوذة.

وفي عام ٣٨١م، استصدر البطريرك "تيوفيلس" من القيصر "تيودوسيو" إذنًا بتخريب "السرابيون"، أكبر ما تبقى من الأكاديميات وآخرها، وإشعال النيران في مكتبته.

ولم تنته أعمال المتعصبين من النصارى عند هذا الحد، بل هاجموا المخالفين لهم، وعدُّوا المتعلمين من الكفرة، وحطموا أماكن عبادتهم [٢]. وهكذا –

ولد نحو ٢٥٦ م، ومات سنة ٣٣٦ م، انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (١/ ٨٠ - ٨١). روني إيلي ألفا، مراجعة د / جورج نخل، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١) انظر : النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة (١٥٩). محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، دون ذكر لمعلومات النشر.

(٢) انظر : شمس العرب تسطع على الغرب (٣٦٢). ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقي، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م دار الآفاق الجديدة، بيروت.الإلحاد وأسبابه (٦٦) . وعن فعل "البطريرك" انظر:الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (٣١). محمد عبده، الطبعة السادسة، ١٣٦٣ه. النصرانية والإسلام (١٥٣)

والقول لـ"زيغريد" – (اختفت مراكز الحضارة الإغريقية واحـدًا إثر واحد، وأُقفلت آخـر مدرسة للفلسفة في أثينيـة عـام ٥٢٩م، وأحــرقت في رومـه عام ٦٠٠م، مكتبة البلاتين، وهدم ما تبقى من آثار أبنية القدماء) (١).

والمقصود أنـه تـم حـرق آلاف الكتـب، ويظهـر ذلـك جلياً في التـاريخ الكنسي، بدءاً من بولس وأتباعه، وحتى زمننا هـذا، يقـول "ريبـوني" : (إن المسيحيين الأوائل كانوا قد اعتادوا حـرق المكتبـات، خاصـة إذا مـا كانـت تابعة لأحد المعابد، وقد بدأ القديس جريجوار الكبير مهام وظيفتـه البابويـة بحرق مكتبة كبرى، خاصة بالبلاط الروماني، وحالياً لا يزال البروتـستانت في شمال أمريكا يمارسون هذه العـادة الممتـدة عـبر تـاريخهم.. ففـي مطلـع الألفية الثالثة، قامت كنيسة "معمدانية الجنوب"، وهي مـن أكـبر الكنـائس البروتستانتيَّة الأمريكية بحرق العديد من الكتب...) (٢).

إن هذا العداء الذي مارسته الكنيسة النصرانية باسم الدين، أثر في الحيـاة الأوربية كثيراً، فأظهر النـاس عـداءهم للـدين، وفقـدوا الثقـة فيـه بـسبب اضـطهادهم عـن طريقـه، وصـور رجـال الكنيـسة أن الـدين ينبـذ العلـم ويعاديه، في وقت كانت فيه النظريات العلمية تنتشر وتزداد، ويراها الناس أكثر صدقاً وموافقة لما تبحث عنه نفوسـهم، ولأجـل ذلـك وقـع الـصراعُ والتصادم بين الدينِ الذي تدعو إليه الكنيسة، والعلــم الـذي يعتمـد عـلى

(١) شمس العرب تسطع على الغرب (٣٦٢- ٣٦٣).
(٢) نقلا من كتاب : الإلحاد وأسبابه (٨٦).

الحسِ والتجربة، ووصل الأمر -كما يقول "بول هـازار" - إلى معركـة لم يـر لها نظير من قبل[١]، بل وصل إلى الاعتقـادِ بـأن النـصرانية مـؤامرة فظـة، لم تنتج إلا الأكاذيب والجرائم عبر التاريخ، وأن جميع البلايا التي يـألمون منهـا ستختفي في اليوم الذي تختفي فيه النصرانية، ويرون أن العقيدةَ سذاجة غير متعقلة، خصصت للأغبياءِ والجهلاءِ، وهي لا تنحصر في تصديق مـا يبـدو أنه حق، بل ما يبدو أنه باطل أمام العقل[٢].

لذلك قدس الغربيون العقلَ، ووثقوا فيه وفي النظرياتِ العلميةِ أكثر مـن وثوقهم في الكنيسة، ولو لم يكن من وراء ذلك عند بعـضهم، إلا الرغبـة في الهروب من تسلطها وطغيانها الذي فرضته على كافة المجالات، سـواء كـان الطغيـان الروحـي[٣]، أو الطغيـان الـسياسي[٤]، أو الطغيـان المـالي[٥]، أو

(١) انظر : الفـكر الأوربي (١ / ٥٨) ترجمـة د / محمــد غـلاب، مراجعـة، د / إبـراهيم مـدكور، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع٠

(٢) انظر : الفكر الأوربي (١ / ٥٩).

(٣) انظر عن ذلك : كواشف زيـوف (٤٣) ، عبـد الـرحمن الميـداني، الطبعـــة الأولى، ١٤٠٥هــ/ ١٩٨٥م، دار القلــم، دمشـق. ماذا خسر العالـم بانحطاط المسلمين (١٦٧). مـذاهب فكريـة معاصرة (٣٠ – ٣٣). محمد قطب، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، دار الشروق، بيروت

(٤) انظر عن ذلك : محاضــرات في النصرانية (١٧٢-١٧٣). كـواشف زيوف (٥٠-٥١). تاريخ أوروبـا في العـصور الوسـطى (٣٠٤-٣٠٥). د/ سـعيد عبـد الفتـاح عاشـور، دار النهـضة العربية٠مذاهب فكرية معاصرة (٤٦).

(٥) انظر عن ذلك : تـاريخ الحـضارات العــام (٤ /٦٠ – ٦١). كـواشف زيـوف (٥١-٥٢). جذور البلاء (٨٤). د. عبـد الله التـل، الطبعـة الثالثـة، ١٤٠٨هــ/١٩٨٨م. مـذاهب فكريـة معاصرة (٤١-٤٣).

الطغيان العلمي، حيث لم تكتف الكنيسة (بفرض سلطانها على أرواح الناس وأجسادهم وأموالهم، واحتفاظها لنفسها بالأسرارِ التي لا تناقش، والعقيدة التي لا تفهم، بل تعدى الأمر حدوده، وفرضت الكنيسةُ سلطانها على العقول والأفكارِ خوفاً على بنائها من الانهيار...) [١].

(١) موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ (٦٢) د/ أحمد العوايشة. الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٤ م. المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن. وانظر: مذاهب فكرية معاصرة (٤٧).

المبحث الثاني :

الصراع بين الكنيسة والعلم ورد النظريات العلمية.

إنَّ من الأمور المسلّم بها أنه لا تعارضَ بين العلمِ ودينِ الله تعالى الصحيح، أما إذا حُرّفَ ذلك الدين وبدلَ، وأدخلت فيه أفكارُ البشر، فإنه عرضة للتعارض والتناقضِ مع الحقائقِ العقليةِ والعلمية.

ولأجل ذلك فإن الكنيسةَ - وهي التي تمثلُ الدينَ المتعارضَ مع العلمِ - لم تكن موجودةً زمنَ عيسى عليه السلامُ، يقول"شارل" : (إن المسيحَ لم ينشئ الكنيسةَ، ولم يردها، ولعل هذه القضية أكثر الأمورِ المحققةِ ثبوتاً لدى أي باحث يدرسُ النصوصَ الإنجيليةَ في غير ما تحيزٍ، بل إننا نؤكدُ أيضا أن الفرضَ العكسي، لا يمكنُ أن يوجد له سندٌ تاريخيٌ مقبولٌ) [١].

بل إن الحواريين لم يفكروا في إنشاء الكنيسة. إذاً متى وجدتْ الكنيسةُ ؟

يرى "شارل" أنه يمكنُ اعتبارُ القرن الثاني هو بداية التجمع والنجاح لدعوة "بولس" بعالمية الكنيسة[٢].

---

(١) انظر : المسيحية نشأتها وتطورها (١٣٠). تاريخ البشرية (٢/ ٥٦).

(٢) انظر : موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٠٠). بتصرف يسير. عبد الله المشوخي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م، مكتبة المنار. وعن سلطة البابا أو ما يعرف باسم "الإرادة البابوية" انظر : تاريخ أوربا في العصور الوسطى (١٢٨-١٢٩). مدخل لدراسة التاريخ الأوربي (٢٥٩). د/ محمد مخزوم، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان

وأصبحت مع بدايةِ القرنِ الرابع بمثابـةِ الهيكـلِ الـضخم الـذي يـشكلُ وحدةً متكاملةً ومجتمعاً مغايراً عن صورة مجتمع الحواريين.

ومع مُضي الزمن أصبحَ البابا بمثابة الحاكم الأعلى، والملك المقـدسِ، بـل ادعى لنفسه حقَّ السيادة على العالم كله، وما جاءت القرونُ الوسـطى،حتى أصبحت الكنيسةُ بمثابة الدولةِ، فلها محاكمها الخاصةُ، وسجونها العديـدةُ، وتتدخلُ في كل شيء، سواء في السياسةِ أو الاقتصادِ، أو العلمِ.

وكون الحديث هنا عن الصراعِ بين الدينِ الكنسي والعلـم، فـإن الكنيـسةَ رأت أن مصدر العلوم وأنواعِ المعارفِ لا يكـون إلا عـن طريقهـا، وأن مـا خالفَ رأيها وأفكارها يعد مخالفا للـدينِ، ومـن ثـم يكـون صـاحب ذلـك الرأي المخالف مطروداً من الرحمة، ومحكوماً عليهِ بالإلحادِ، فكان لا بد مـن وقوع الصراع، ويظهر ذلك جلياً في موقف الكنيسة من العلماء ونظرياتهم.

النظرياتُ العلمية وردها :

كبحت الكنيسةُ العقول وقيدتها، وفرضت الحصارَ على الأفكار ولجمتها، وردت النظريات العلميةِ ورفضتها، لا خوفًا على الـدين، بـل حفاظًـا عـلى قدسيتها، وخوفًا من هتك أستارها على يد هذه النظريـات، فينهـارُ بنيانهـا، ويزولُ طغيانها، فرفضت كل ما جاء عن غير طريقهـا، وخـالف معارفهـا، واعتـبرت أن قمـةَ (الـضلالِ هـو البحـثُ عـن الحقيقـة في غـير الكتـاب

المقدس)[١].

ويبرز طغيان الكنيسة وتسلطها على الجانب العلمي في رد النظريات العلمية، والحكم على أصحابها بالكفر والإلحاد، ومن ثم إحراقهم أو قتلهم، وأنشأت لذلك محاكم التفتيش، وابتدعت صنوفاً من التعذيب، محاربة للنظريات وأصحابها. وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

١ - "كوبرنيكوس"[٢] القول بـ"دوران الأرض" :

تنسب هذه النظرية لـ"كوبرنيكوس" حيث قال بدورانِ الأرضِ والكواكبِ حول الشمسِ، وكانت فكرةُ الكنيسةِ أن الأرضَ هي مركزُ الكون، لتفرع عليها بعض انحرافاتها العقديةِ، لأن عيسى عليه السلام تجسد فيها، والخلاص إنما تم عليها، وكذا ما يلحق بذلك من طقوسٍ إنما وقعت عليها، ومن ثمَّ فالقول بحركتها يتعارض مع ما تقرره الكنيسة .

وتعتبرُ هذه النظريةُ ضربةً قويةً للكنيسة، وثورة عليها كما يسميه بعض الباحثين، فقد ذكر "توماس كون" أنها ثورة بمقاييس عديدة وذكر من ذلك:

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب (٣٦١).

(٢) عالم فلكي بولندي، من أصل ألماني، عاش ما بين ١٤٧٣م - ١٥٤٣م. عمل كاهنا بعد أن أنهى دراسته في جامعة كراكوف، ثم نزح إلى إيطاليا، ودرس القانون الكنسي، واهتم بدراسة الفلك، وحاز شهرة واسعة كطبيب، ولكن الفلك هو الذي استحوذ على اهتمامه انظر : بنية الثورات العلمية (٢٩٢).توماس كون، ترجمة شوقي جلال، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م، الكويت.

أولا: ضرورةُ استقلالِ البحث العلمي.

ثانيا: استقلالُ نطاقِ الطبيعةِ عن نطاق العقيدةِ الدينية.

ثالثا: تعتبرُ تحولاً كاملاً عن نظرية مركزية الكون التي ألتزمتها الكنيسةُ، حيث تحولت الأرضُ إلى كوكبٍ عادي.

رابعا: أن هذه النظريةَ كانت أساساً للأفكارِ التي جاءت فيها بعد عن حركةِ الأجرام السماويةِ [١].

ويرى الدكتور "سفر الحوالي": أن هذه النظريةَ هي التي هزت الكنيسةَ لأولِ مرةٍ، وقبلها كانت الكنيسةُ المصدرَ الوحيدَ للمعرفةِ[٢].

والمقصود أن الكنيسة لم تترك النظرية وصاحبها، ولم يفلت من قبضتها، إلا بتدارك الموتِ له، ومع هذا فقد كانت اللعنةُ تلاحقهُ في قبره، وصودرت كتبه، وأحرقت، وحرم على أتباع الكنيسة الاطلاعُ عليها، وكان كتابهُ الذي ضمنه نظريته تلك، هو: "حركاتُ الأجرامِ السماويةِ" [٣].

ومما ذكره "كوبرنيكوس" قوله: (أخذت أشعر بشيء من الانزعاجِ كيف أن الفلاسفةَ درسوا حتى درجة الإتقان، كل ما يتصل بأدقِ مخلوقاتِ

---

(١) انظر: بنية الثورات العلمية (٢٩٢-٢٩٣).

(٢) انظر: العلمانية (١٥٠)، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، مطابع جامعة أم القرى.

(٣) انظر عن ذلك: موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٤٠). مذاهب فكرية معاصرة (٤٨). العلمانية (١٥٠).

أرضنا، بينما نراهم لا يعرفون شيئاً يذكر عن الحركات التي يقوم بها جهاز هذا الكون الذي أبدعه أقدر - وهذا تعبيره - المهندسين وأمثلهم طراً)[١].

وبعد أن ذكر حركة الأجرام حول الشمس، ومقدار ما تتم فيه تلك الدورات من الناحيةِ الزمنية، وكون الشمس تقومُ وسط هذه الكواكب، قال : (ونجدُ في هذا النظام البديع هذا الانسجام الذي تبيّناه في الكون كنتيجة لهذه النسبة القائمة بين الحركة ، وحجم الكوكب، وهي نسبة لا يمكن أن نجدها على مثل هذا النحو، في مكان آخر... فليس أكمل وأتم لعمري، من هذا العمل الإلهي...) [٢].

يقول "موسنييه" : (بهذه الصورة الجمالية التي رسمها "كوبرنيكوس" ... وجد نفسه مخالفاً للشعور العام، ومتعارضاً مع حرفيةِ التوراة، ومع النظرية الجامعة التي احتضنتها الكنيسة، فبنيانه هذا يرسمُ صورةً علميةً جديدة للعالم...وبذلك تفقد الأرض إلى الأبد، ما ميزها به عقل الإنسان مجاناً، من خصائص، ولم يَعُد لها بعد هذا من كيان ذاتي مستقل، ينتصب في وجه الأجرامِ السماوية، كعالم قائم لذاته، فلها ما للكواكبِ الأخرى من حركةٍ

(١) تاريخ الحضارات العام (٤/ ٤٩). رولان موسنييه

(٢) نظر : تاريخ الحضارات العام (٤/ ٥٢). الإلحاد وأسبابه (١٠٠).وبشيء من التفصيل عن نظرية كوبرنيكوس، انظر : من كوبرنيكوس إلى أينشتين (٥٥ - ٦٢).هانز ريشنباخ، ترجمة د / حسين علي، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر

رحوية، وتخضع مثلها للقوانين ذاتها، فهي تؤلف مع الكون كـلاً متجانسـاً، فالأرض لم تعد محور الكون ونقطة الثقل فيه، وهذا الكـون لم يعـد يتحـرك لها، ومن أجلها) [١].

٢ - **"جيوردانو برونو"**[٢]:

ظنت الكنيسةُ أن أمرَ هذه النظرية قد انتهـى مـع "كوبرنيكـوس"، ولكـن قامَ ببعثها رجلٌ آخر هو "برونـو"، وقـال أيـضًا: هنـاك أشـكال مـن الحيـاة خارج الكرة الأرضية. وهذا القـول اعتـبر كفـرًا وهرطقـة عنـد الكنيـسة، وحاكمته الكنيسة وأدانته، ودامت محاكمته وسجنه أكثر من ست سـنوات، وبقي مصراً على رأيه، ثم أحرقته عام ١٦٠٠م[٣].

وكانت الكنيسة مذعورة خوفاً من أن يتفوه "برونو" بكلمةٍ وهو في طريقه للمحرقةِ، فيتلقاها الناس وتؤثر فيهم، يقول "ريبوني" : (لقد كمموه قبل أن يأخذوه إلى المحرقة لتفادي ألا تتسبب عباراته في قلقلة معتقـدات الجمهـور الذي حضر لمشاهدة المحرقة، وقد تم إضفاء رتبة " كبير علماء الكنيسة" عام ١٩٣٠.م، على الكردينال بلارمين، الذي تولى إدانة برونو رسميا...) [٤].

---

(١) تاريخ الحضارات العام (٤/٥٢-٥٣)

(٢) فيلسوف إيطالي،ولد سنة ١٥٤٨م،ومات سنة ١٦٠٠م.انظر:عصر الإلحاد (٣٢) محمد الندوي، دار الصحوة للنشروالتوزيع.

(٣) انظر : العلمـــــانية (١٥٠). موقف الإســـــلام والكنيسة من العلم (١٤٠).

(٤) نقلا من كتاب الإلحاد وأسبابه (١٠٠).

وبقيت الكنيسة حتى هذا الوقت تصر على موقفها من العلماءِ ونظرياتهم، بل تؤكد موقفها ذلك من مئات السنين، وقد اعترضت الكنيسة على إقامة تمثال لـ "برونو" في روما سنة ١٨٨٩م[١]. وفي عام ١٩٢٩م طلب البابا من "موسوليني" هدم هذا التمثال، وفي عام ٢٠٠٠م، حينما عقدت ندوة حول "برونو" في كلية اللاهوت في نابولي، أرسل الكرسي الرسولي إلى رئيس الندوةِ رسالةً ، ومما جاء فيها : (إن تطورَ فكره قد دفعه إلى اختياراتٍ فكريةٍ وثقافيةٍ ستتكشف مع الوقت، في العديدِ من النقاط الحاسمةِ، أنها لا تتمشى مع العقيدة المسيحية)[٢].

ولكل عاقلٍ أن يقولَ : إذا كانت الكنيسة على حقٍ، فلم كل هذا الخوف والحذر، وإذا كانت آراء الكنيسة وأفكارها مأخوذة عن الإله - كما يزعمون - فهل يقع فيها هذا التناقض مع النظرياتِ والحقائق العلميةِ ؟!!

ثالثا: جاليـليو: [٣]

---

(١) حزن البابا كثيراً " ليون الثالث عشر " ، لذلك وأمضى يومه في حداد وصوم على إقامة التمثال، ووصفت الصحافة الكاثوليكية هذا الحدث بأنه " وليمة شيطانية" ٠ انظر : الإلحاد وأسبابه (١١١).

(٢) نقلا من كتاب الإلحاد وأسبابه (١٠٠ – ١٠١).

(٣) عالم إيطالي في الفلك والطبيعة والرياضيات، عاش ما بين ١٥٦٤م - ١٦٤٢م. اخترع الميزان المائي وقال بأن الأجسام تسقط بسرعة واحدة مهما اختلفت أوزانها، اخترع عام ١٦٠٩م أول تلسكوب للأرصاد الفلكية، وفي ١٦١٠م،اكتشف أربعة أقمار تدور حول المشتري٠ انظر : بنية الثورات العلمية (٢٩١).

بعد وفاةِ "برونو" ببضع سنواتٍ كان "جاليليو"، وهو من أكثر العلماءِ اهتماما بالتجربةِ والمشاهدةِ(١)، ويرى أنهما نقطةُ الانطلاق المأمونة لمعرفةِ الطبيعة، وكان له اهتماماته بالظواهرِ الفلكية، وحفزه ذلك على الاعترافِ بنظرية "كوبرنيكوس"، يقول "ولز" عن "جاليليو": (طور آراء "كوبرنيكوس" الفلكية، ولكن الكنيسة قررت – وهي تكافح النورَ بشجاعةٍ !! – أن الاعتقادَ في أن الأرض أصغر من الشمسِ وأدنى منها مرتبة، لا يجعل للإنسان والمسيحية وزناً؛ ولذا حمل "جاليليو" على التراجع عن هذا الرأي، وعلى إرجاعِ الأرض إلى مكانها الأول كمركزٍ ثابتٍ للكونِ لا يتحرك !!!.. وقضى عليه سبعة من الكرادلة بالسجنِ مدة من الزمان، وأُمر بتلاوةِ مزامير الندم السبعة مرة كل أسبوع، طوال سنوات ثلاث) (٢).

وكان يعتقد "جاليليو" بدوران الأرض حول الشمس، ودخل في صراعٍ مع رجال الكنيسة، وأكدوا مروقه وخروجه من الدين، وأودع السجن، وأرغموه على التنكر لنظرية "كوبرنيكوس". وخشي "جاليليو" على نفسه من الهلاك، فأعلن تراجعه عن رأيه أمام البابا بالاعتراف الآتي: (أنا جاليليو وقد بلغتُ السبعين من عمري سجينٌ راكعٌ أمام فخامتك،

(١) انظر عن ذلك: أنشتين غاليلو ونيوتن، فرانسواز باليبار (٤٦ - ٦٢). ترجمة د / سامي أدهم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. وقد مثل لبعض ما جاء عن غاليلو بالرسومات البيانية.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية (٣/ ١٠٠٨). وعلامات التعجب الواردة في النص من وضع "ولز"

والكتابُ المقدسُ أمامي ألمسه بيدي ،أرفضُ وألعنُ وأحتقرُ القولَ الإلحادي الخاطئ بدورانِ الأرض) [١]. ومن الآراء التي قال بها "جاليليو" أن السيارات ليست سبعةً كما حددها الكتابُ المقدس[٢].

إلا أن الكنيسة في السنواتِ الأخيرة - بعد أن بقيت آراء "كوبيرنيكوس" و"جاليليو" في كشف الممنوعات حتى سنة ١٨٣٥م، - بدأت في دراسة حالة "جاليليو" حيث وعد البابا "يوحنا بولس الثاني" سنة ١٩٧٩م، بتشكيل لجنة تعيد فحص حالة "جاليليو" ، وهذه اللجنة مكونة من علماء الأكاديمية البابوية، وبدأت اللجنة عملها عام ١٩٨١م، وفي عام ١٩٩٢م قدمت قراراتها لـ "البابا"، وأشار إلى كثير من التحفظات، وقال : إنه لا قضاة محكمة التفتيش، ولا "جاليليو" استطاعوا القيام بالتفرقةِ بين" التناول العلمي لبعض الظواهر الطبيعية وتأمل الطبيعة من المنطلق الفلسفي"، ورغم إقرار "البابا يوحنا بولس الثاني" بخطأ "جاليليو" إلا أن الكنيسة انتهت إلى الحكم ببراءةِ "جاليليو"، مع التأكيد أنه كان مسئولاً عن إدانته بقدرٍ لا يقل عن مسئولية محكمة التفتيش التي أدانته[٣].

---

(١) العلمانية (١٥١). وانظر : بنية الثورات العلمية (٢٩٢). موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٣٩).من قضايا الحضارة المعاصرة العلاقة بين العلم والدين (٢٦ -٢٧) د/ نعمان عبد الرزاق السامرائي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م، مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) انظر : موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٣٩).

(٣) انظر : الإلحاد وأسبابه (١٠٣ -١٠٤).

فهؤلاء زعماء النظرية، وهذا موقف الكنيسة منهم، وليس غريباً أن تضطهدهم وتحارب أفكارهم، فإن أفكارها لا تعيشُ إلا في الظلام، ولم تستعبد الناس بالحق، بل بالخرافة[١].

رابعا: إسحاق نيوتن: [٢].

ارتبط اسمه بقانونِ الجاذبية العام، ويعتبرُ هذا القانونُ تكملةً طبيعيةً لتصور "كوبرنيكوس" عن مركزيةِ الشمس للمجموعة الشمسية، فضلاً عن كونه يشكلُ أساساً علمياً جديداً لتفسير بعض ما يجري في الكون[٣]، يقول "نيوتن":(إنه من الممكن تفسير ظواهر الطبيعة بربط بعضها ببعض، دون حاجة إلى تدخل قوى خارجية عنها) [٤]، ويريد بذلك أنه بالإمكان استنباط الأسباب والنتائج من خلال الظاهرة المعينة، فقانون الجاذبية هو الذي يفسر اتجاه الأجسام إلى مركز الأرض.

وقد حاربت الكنيسةُ هذه النظرية وشنعت على معتنقيها قائلةً : إن الأشياءَ لا تعمل بذاتها ولكن عنايةَ الله هي التي تسيرُها [٥].

---

(١) انظر : العلمانية (١٥١).

(٢) عالـم فيزيائي إنجليزي، ولد في السنة التي توفي فيها جاليليو ١٦٤٢م، وضع قانون الجاذبية العام، وقوانين الحركة،من مؤلفاته الفلسفة الطبيعية، انظر : بنية الثورات العلمية (٢٩٣ -٢٩٤).

(٣) انظر: بنية الثورات العلمية (٢٩٤). وعن نظريته، انظر : من كوبرنيكوس إلى أينشتين (١١١- ١١٥).

(٤) العلوم والدين (١٩). نقلا من كتاب العلمانية (١٥٥).

(٥) انظر : العلمانية (١٥٥).

فالكنيسة ترى أن هذه النظرية تنفي قدرة الإله[١]، أو أنها تعني انتزاع قـوة التأثير من الله عز وجل إلى قوى ماديةٍ[٢].

ولا شك أن المفكرين الملحدين اتخذوا من هذه النظرية وسيلة لهم في بـث إلحادهم، وحملتهم على إنكارِ العناية الإلهية، وزعمـوا أنـه لا حاجـة لنسبة هذه الأفعال إلى الخالقِ جل وعلا، خاصة إذا عُرفت عللها، مـع أن العلـماء الذين قالوا بقانون العلةِ والمعلول، لم يزعمـوا ذلـك؛ فــ "نيـوتن" يقـول - بعبارته - (هذا هـو أسـلوبُ الله [تعـالى] في العمـل، فـالله [تعـالى] يُجْـري مشيئتَه في الكون بواسطة أسباب وعلل) [٣].

فاتخذ هؤلاء الملاحدة من هذا الكشف دليلاً على إنكار وجـود الله تعـالى، وظهرت النظرية القائلة : بــ "التفـسير الميكـانيكي للكـون"، وأصـبح مـن الحقائق المسلّم بها عند هؤلاء أن جميـع وقـائع الكـون تحـدث بـسبب علـلٍ ماديـة، دون تـدخل خـارجي، وأن الكـونَ كلـه مربـوط في سلـسلة العلـة والمعلول[٤].

---

(١) انظر : الدين في مواجهة العلم (١٢٥).وحيـد الـدين خـان، ترجمة ظفـر الإسـلام خـان، دار النفائس، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
(٢) انظر: موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٤٠).
(٣) الدين في مواجهــة العلم (٤٢). وممـــا قاله نيـوتن : (إنني لا استعمــل الكلمـة جاذبيـة إلا للتعبير عن تأثير قد اكتشفته في الطبيعة ، وهو تأثير أكيــد ولا يناقش، لمبدأ مجهـــول، وهـــو صفة ملاصقة للمـــادة حيث سيجد السبب أناس أذكياء إذا استطاعوا ذلك) أنـشتين غاليــــلو ونيوتن (١٠١).
(٤) انظر : الدين في مواجهة العلم (٤٢).

وإذا كان هؤلاء قد استغلوا النظرية لتأييد أفكارهم الإلحادية، فإنه كان يتوجبُ على الكنيسةِ أن تتفهم النظرية، وتفرق بين الفاعل الحقيقي الذي قدر كل شيء وأراده، وبين الأسبابِ التي ارتبطت تلك الأفعال بها، فإن ذلك كله بتقدير الله تعالى وتدبيره.يقول الدكتور سفر الحوالي: (لم تكن الكنيسةُ من سعة الأفق على جانب يسمحُ لها بتفهم عدمِ المنافاةِ بين نسبة الأفعال إلى الله تعالى باعتباره الفاعل الحقيقي لها وبين نسبتها إلى الأسبابِ باعتبارها وسائط مباشرةٌ، بل كان حنقها على كل جديدٍ صارفًا لها عن ذلك،كما إن أصحاب النظرية اندفعوا وراء رد الفعلِ الأهوجِ، فأنكروا عمل العناية الإلهية، وربط الأسباب بالمسببات، معتقدين أن كل ما عرفت علته المباشرة فلا داعي لا فتراضِ تدخل الله فيه حسب تعبيرهم.

فلما جاء نيوتن بنظريةِ الجاذبية مؤيدةً بقانون رياضي مطرد، انبهرت عقولُ الفئات المثقفةِ واتخذها أعداءُ الدين سلاحاً قوياً حتى لقد سميت "الثورة النيوتونية"، وأحسَ هؤلاء بنشوة انتصارٍ عظيمةٍ، فقد أمكن تفسيرُ الكون كله بهذا القانون الخارقِ، كما تأكدت صحةُ نظريات كوبرنيكوس، وبرونو، وجاليليو، وفي الوقت نفسه اهتز موقفُ الكنيسةِ، وتداعت حججها الواهيةُ أكثر من ذي قبل، ولجأتْ إلى التعسفِ والعنف، وهاجمَ رجالها نيوتن الذي كان مؤمناً بوجود الله ، بحجةِ أنها تفضي إلى إنكارِ وجود الله، بنفي العنايةِ الإلهيةِ من الكون، وقد ثبت أنهم كانوا على حقٍ في

توقعهم هذا الموقفِ الخاطئ على الوصولِ إلى تلك النتيجة الباطلة، ولا شكَ أن نظرية نيوتن من أعظمِ النظريات العلميةِ أثراً في الحياة الأوربية، فهي التي وضعت أساسَ الفكر المادي الغربي، وإليها يُعزى الفضلُ الأكبرُ في نجاح كل من المذهبِ العقلي، والمذهب الطبيعي) [١].

خامسا: "بافون "[٢]:

كان له بعض الآراء والأبحاث المتعلقة بالطبيعة تخالفُ آراءَ الكنيسةِ، ولهذا فقد واجهته حملة عنيفة من قبل الكنيسة، اضطرَ أمامها أن يتراجعَ عنها، وأن يقلعَ علناً، وأن ينشرَ اعتذاره على الناس، ومما جاء في اعتذاره : (أعلنُ إقلاعي عن كل ما جاء في كتابي خاصاً بتكوينِ الأرضِ، وجملة عن كل ما جاء به مخالفاً لقصة موسى) [٣].

سادسا : "دوبو "[٤]

وممن نقمت عليه الكنيسة وأحرقته عالم الطبيعة "دوبو"، الذي قال بتعددِ العوالم، فحكمت عليه الكنيسةُ بالقتل، واقترحت أن لا تراق قطرة من

---

(١) العلمانية (١٥٥-١٥٦).

(٢) عالم من علماء التاريخ الطبيعي، عاش في القرن الخامس عشر الميلادي. انظر : موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٤٠).

(٣) انظر موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٤٠).

(٤) عالم من علماء الطبيعة كان له العديد من الآراء التي تخالف ما عليه الكنيسة، ومن أشهرها قوله بتعدد العوالم، وأحرقته الكنيسة، انظر : من قضايا الحضارة المعاصرة (٢٦).

دمهِ، وكان ذلك يعني أن يحرقَ حياً، وقيل كان يقدمُ للنارِ فإذا لفحته تراجع عن أقوالهِ، فإذا ابتعد عنها رجع، ولما لم يتخل كلياً عنها أُحرق حياً [١].

وكذلك كان الأمرُ بالنسبةِ لبعض المفكرين الذين انتقدوا الكنيسةَ وسيرةَ رجالها، فقد واجهوا الاضطهاد، ومصادرة كتبهم، وسجنهم، ويضرب "بول هازار" بعض الأمثلة على ذلك، وممن ذكر :

"**بيترو جيانون**" [٢] : حيث ألف كتابا أسماه" التاريخ المدني لحكم نابولي" وظهر سنة ١٧٢٣م، وقال فيه : " إنك ترى خلال العصور أن السياسةَ الدينية تظل كما هي، وترى خلال العصور أن الرهبان يميلون إلى الاستيلاءِ على الثروات" [٣].

ويرى أن الرهبانَ أقاموا مبنى متعارضاً مع روح المسيحية، ونعتوا الأعمالَ بنعوت المباحات أو المحظورات حسب أهوائهم، وحملوا الناسَ على الإيمانِ بأن لديهم قدرة على فتحٍ أو إغلاقِ الأبواب السماوية [٤]، ووقع

---

(١) انظر : من قضايا الحضارة المعاصرة العلاقة بين العلم والدين (٢٦).

(٢) عالم إيطالي ولد سنة ١٦٧٦م، درس القانون الروماني، والديني، والفلسفة، كان أسيرًا لفكرة واحدة؛ أن الرهبان يريدون اغتصاب الحكم، والاستيلاء على الثروات. مات سنة ١٧٤٨م . انظر : الفكر الأوروبي (١/ ٦٤- ٦٥).

(٣) انظر : الفكر الأوروبي (١/ ٦٥).

(٤) هذا الكلام وجد في كتاب مخطوط لـ"جيانون"وعنوانه "الحدود الثلاثة" . انظر: الفكر الأوروبي (١/ ٦٦- ٦٧).

"جيانون" تحت الاضطهاد، وحاول إنقاذ كتابه ونشره، ولكنه سُجل في قائمة المحظورات، وطُرد "جيانون" من بلد إلى آخر، إلى أن أُعتقل وسُجن حتى توفي في قلعة توران، سنة ١٧٤٨م (١).

ومنهم "جوان كريستيان أيديلمان"، كان لوثرياً، وهجر إيمانه، وقد أتم دراسته الجامعية الدينية سنة ١٧٢٠م، ولكنه في فترةٍ لاحقةٍ قال : إن أساتذته لم يعلموه إلا حماقات، وكان سعيداً بأن يفر منهم، واطّلع على كتابٍ بعنوان " الكنائس المحايدة وتاريخ الهرطقات"، وكان يقررُ مؤلِفُهُ أن الهراطقةَ هم الذين لديهم العقيدة الحقة، وليس "الأرثوذكس"، وفي يوم من الأيام استرعت انتباهه في إنجيلِ القديس "جان" عبارة "إن الإله هو العقل" ففرح بها، وقال بزيف الكتب المقدسة، ثم نشر كتابه" ألوهية العقل" سنة ١٧٤١م.وقد استولي على كتبه، وأحرقت، وقضي بغرامةٍ على من يحاول أن يجعلها متداولة، وسُمح له بالعودة إلى برلين، بشرط ألا ينشر بعد ذلك شيئاً، وكان ذلك بالنسبة إليه، أشق أنواع الإهانة (٢).

ومن هؤلاء : عالمة الرياضيات والفلسفة في مدرسة الإسكندرية "**هيباثيا**". وقد قتلها شرذمةٌ من الرهبان، بتوجيه من"سيريل" أسقف الإسكندرية، الذي أصبح فيما بعد قديساً، بل أُطلق عليه سنة ١٨٨٢م"علاّمة الكنيسة"،

(١) انظر : الفكر الأوروبي (١/ ٦٦).
(٢) انظر : الفكر الأوربي (١/ ٧١ – ٧٤).

وحجة النصارى في قتلها، أنها كانت مدرسة رياضيات بارعة!! وتمثل تهديداً ضد انتشار النصرانية!! بسبب تعليمها العلوم !! [١]وكذلك كان لا يخلو مجلسها من البحث في بعض المسائل منها: من أنا ؟ وإلى أين أذهب، وماذا يمكنني أن أعلم، وكذا البحث في فلسفة الأفلاطونية الجديدة، فقبض عليها، وقتلت في الكنيسة، ثم قطع جسمها، وجرد اللحم عن العظم، وما بقي منها، ألقي في النار[٢].

ويقول "ريبوني" : يمثل مقتلها نقطة تحول كبرى، إذ غادر العديد من العلماءِ مدينةِ الإسكندرية متجهين إلى الهندِ أو بلاد فارس[٣] .

ومن هؤلاء القس " يان هَسْ"، اتهم بالهرطقةِ، فهرب من مدينةِ "براج". وعند انعقادِ مجمع "كونستانس" قام الملك بمنح "هس" تصريحاً بالسفر ليدافع عن نفسه، ويشرح وجهة نظره للمجمع، لكن هذا التصريح بالمرور سالماً لم يكن إلا فخاً منصوباً له، فما أن وصل إلى مدينةِ انعقادِ المجمع حتى تم القبض عليه، وسُجن سنة ١٤١٤م، وأُدين عن طريقِ محاكمِ التفتيش، وتم حرقه حياً، سنة ١٤٢٥م [٤].

---

(١) علامات التعجب من عندي .

(٢) انظر : الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (٣١ -٣٢). الإلحاد وأسبابه (٦٩).

(٣) انظر : الإلحاد وأسبابه (٦٩).

(٤) انظر : الإلحاد وأسبابه (٨٧ – ٨٨).

والأمثلةُ على ذلك كثيرة، فمنهم من أُحرق لأنه أنكرَ إلوهية عيسى عليه السلام [١]، ومنهم من جاء برأي علمي يخالف ما تراه الكنيسة، فسُجن حتى مات، ثم حوكمت جثته، وكتبه، فحكم عليها وألقيت في النار[٢]، ومنهم من أُحرق، أو قُتل، أو سُجن؛ لأنه يقرأ الكتاب المقدس بلغته القومية[٣]، ومنهم من سُجن، ثم حكم عليه بالتزام الصمت؛ لأنه انتقد الكنيسة وأفكارها [٤].

ويضاف إلى ذلك رد الكثير من الكشوفِ العلمية التي قد تنفع ولا تضر، أو على أقل تقديرٍ، لا تعارض الدين، فمثلاً قاومت الكنيسة الحقن تحت

---

(١) يقول "ديورانت " وفي عام ١٥٠٠ أحرق "جيورجيو دا نافارا " لأنه أنكر إلوهية المسيح ٠انظر: قصة الحضارة (٢١/ ٨٧)٠ ويقول : حكم على"جاليتو مارتشيو" بالإعدام؛ لأنه كتب يقول: إن أي إنسان يحيا حياة صالحة يكون مصيره الجنة أيا كان دينه، ولكن نجا من الموت بعد تدخل البابا "سكستس الرابع " ٠انظر : قصة الحضارة (٢١/ ٨٦).

(٢) مثل : " دي رومنيس" الذي قال : إن قوس قزح ليست قوسا حربية، بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء٠ انظر : الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (٣٥).

(٣) انظر : أصول التاريخ الأوربي الحديث (١٣٧). وعن محاكم التفتيش، انظر : مذاهب فكرية معاصرة (٦٧ – ٧٠). الإلحاد وأسبابه (٨٣) وما بعدها ٠

(٤) مثل : " أبيلارد " حيث طالب بتحرير العقل، وألف كتابا أسماه " نعم ولا " عرض فيه بآباء الكنيسة، وبعقيدة التثليث، فاتهم بالهرطقة، وانعقد لمحاكمته مجمع "سواسون" سنة ١١٢١م، وأدان المجمع رأيه، وقرر إحراق كتابه، وأكره على إلقائه في النار بيده، ثم سجن، والتزم الصمت بعد ذلك ٠ انظر : قصة النزاع بين الدين والفلسفة (٨٩). ومثل " سافونارولا" كان حريصًا على حرفية النصوص المقدسة، ولكنه هاجم البابوات، فتم شنقه. انظر : المرجع نفسه (١٥٨).

الجلد، كما قاومت تخدير المرأة لتسهيل ولادتها؛ وذلك لأن الكتاب المقـدس فيه ما يدل على التعب والوجع من آثـارِ الـولادة [١]، وحاربـت "كـولمبس" ووقفت ضد رحلته في اكتشاف أمريكـا، كـما وقفـت ضـد القـول بكرويـةِ الأرض، حتى أكد صحة هذا الرأي المنصرون الذين طـافوا حـول الأرض لنشر النصرانية، فهدأت ثائرة الكنيسة [٢].

(١) انظر : الإسـلام والنصرانية مع العلم والمدنية (٤٠ – ٤١). وفي التوراة : " وقال للمرأة لأكثرن مشقات حملك تكثيرا، فبالمشقة تلدين البنين". العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح ٣ / ١٦ ، الطبعة الثانية، ١٩٩١م، دار المشرق، بيروت.

(٢) انظر : قصة النزاع بين الدين والفلسفة (١٦٨ -١٦٩). الطبعة الثانية، ١٩٥٨م، مكتبة مصر.

المبحث الثالث:

أسبابُ رفض الكنيسة للنظرياتِ العلمية.

إن المتأمل في صراعِ الكنيسة مع العلم، يتبيّن له أن هـذا الـصراع والعـداء كان له دوافعه التي جعلت الكنيسة في هذه الحالة مـن الخـوف والهلـع تجـاه العلماء والنظريات العلمية، ويمكنني ذكـر بعـض الأسـباب التـي دفعـت الكنيسة إلى هذا التصادم مع العلم، -مع ملاحظـة أن الـصراعَ لم يكـن بـين الدينِ والعلم، بل بين الكنيسةِ والعلم- ومن أهمها :

أولا: أن الكتـابَ المقـدسَ عنـدهم جـاء بـما يخـالفُ هـذه النظريـات، ويتعارض مع كثير مـن الكـشوف العلميـة، ومـن ثـمّ فهـي متناقـضةٌ مـع معتقدهم الديني، فلا بد من ردها، والحكم بكفرِ أصحابها.

ثانيا: أن العهد القـديم ورد فيـه مـا يـدل عـلى أن الأرضَ ثابتـة، ونـص عبارته: « جيل يمضي وجيل يأتي، والأرض قائمة أبـد الـدهور، والـشمس تشرق والشمس تغرب، ثـم تُـسرع إلى مكانهـا ومنـه تطلـع »[1]، فـالقول بدورانها يناقض هذا النص .

ثالثا: أن القول بدورانها يبطلُ العديدَ من معتقدات الكنيـسة التـي بنيـت على القول بثباتها، حيث قالت الكنيـسةُ: إن الأرضَ يجـبُ أن تكـون مركـزَ الكونِ الثابت؛ لأن عيسى عليه الـسلام تجـسدَ فيهـا، وعليهـا تمـت عمليـة

(١) العهد القديم، سفر الجامعة، الإصحاح ١/ ٤- ٥.

الخلاص والفداء، وفوقها يتناولُ العشاءَ الرباني(١).

رابعا: تعتقد الكنيسة أنها بموقفها هذا، تحقق جملة من المطالب العامة والخاصة، ومن ذلك المحافظةُ على قدسيةِ الإنجيل، وحق إنفراد الرهبان بمعرفته وتفسيره(٢)، كما تهدفُ إلى الحفاظ على مكانة رجالها، وتحقيق مصالحهم.

خامسا: عدم ثقة رجال الدين الكنسي في معتقداتهم، ولهذا خافوا من انتشار هذه النظريات والكشوف العلمية؛ لأنها ستأتي على بنيانهم، وتكشف أباطيلهم، وتظهر تناقضاتهم، فكان هذا الصراع مع العلمِ والعلماء.

سادسا: الجهلُ الذي كان يخيمُ على رجال الدين، مما جعلهم يخافون من كل جديدٍ، مع أن بعض النظريات لم تكن تضرهم بشيء.

سابعا: اعتقادُ الكنيسة أن الحقَ والصوابَ إنما يكون في الكتاب المقدسِ دون سواه، فهو المعصوم من الخطأ، يقول الدكتور توفيق الطويل : « لو كان جميع رجال الكنيسة مستنيرين، أو كانت تعاليمهم مسايرة للتفكير الناضج،

---

(١) انظر بعض ما جاء في الإنجيل عن ذلك : إنجيل متى : ٢٦/ ٢٦- ٢٨، و ٢٧/ ٤٥-٥٢ • إنجيل مرقس ١٤/ ٢٢ - ٢٥ ، و ١٥ /٣٣ • إنجيل : لوقا ٢٢/ ٧- ٢٠ • وانظر : العلمانية (١٥٠).

(٢) نشر البابا منشورًا سنة ١٨٦٤م، جاء فيه : (لعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية، أو جواز أن يفسر أحد شيئًا من الكتاب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة ...). الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (٤١).

لهان خطب تعصبهم الذميم بعض الهون، ولكنهم كانوا يمثلون دوراً من أدوار البربريةِ القديمةِ المظلمة، قد تخلف مع الزمن ووجد فيهم خير حماة، وبذلك أوقفوا تقدم المعرفة، وأوصدوا أبواب العلم، وحاولوا الحيلولة دون تقدمهِ حتى النصف الأخير من القرنِ الغابرِ، وقد هيمنت الكنيسةُ على كل ميادين البحث العلمي، وفرضت عليها ما تراه حقاً، مستندة في ذلك إلى سلطةِ الكتاب المقدسِ المعصوم من كل خطأ » [١].

ثامنا : أن الكنيسةَ علمت أثر العلوم الإسلامية على أوروبا، فخافت من انتشار الإسلام وثقة الناس به، والدخول فيه، ومن ثمّ الكفر بالكنيسة ودينها، وأثرُ علماء المسلمين على الغربِ حقيقة لا مريةَ فيها، بل كشف بعض الباحثين الأوروبيين أن هناكَ سرقات تمت من علومِ العربِ، وتُرجمت إلى اللاتينيةِ دون الإشارةِ لذلك [٢].

تقول "زيغريد هونكه" : « إن سيلاً عارمًا من نتاج الفكر العربي وموارِدِ الحقيقةِ والعلم، وقد نقحته أيدٍ عربيةٌ، ونظمتهُ وعرضته بشكل مثالي، قد اكتسحَ أوروبة، ولو في رداءٍ ركيكٍ من اللغة اللاتينية، وغمروا أرضها الجافة غمراً، فأشبعها كما يشبعُ الماءُ الرمالَ الظمأى ... وفي مراكز العلم الأوروبية لم يكن هناك عالمٌ واحد من بين العلماء إلا ومد يديه إلى الكنوز

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة (٣٤).

(٢) انظر : شمس العرب (٢٩٦) وما بعدها.

العربية هذه، يغرفُ منها ما شاء الله لـه أن يغـرفَ، وينهـل منهـا كـما ينهـل الظمآنُ من الماء العذب.. ولم يكن هناك كتابٌ واحدٌ من بـين الكتـب التـي صدرت في أوروبة آنذاك إلا قد ارتوت صفحاتهُ بالري العميم من الينـابيع العربية..» [١].

(١) شمس العرب تسطع على الغرب (٣٠٥). وانظـر: مـذاهب فكريـة معـاصرة (٤٨). مدخـل لدراسة التاريخ الأوروبي (٣٢). وما بعدها. وذكر أن الحضارة الإسلامية والعربية أحـد منـابع الحضارة الأوروبية.

المبحث الرابع :

الآثارُ المترتبة على موقفِ الكنيسةِ من العلم والعلماء.

لقد جنت الكنيسةُ على نفسها وعلى الدين بموقفها من النظريات العلمية وأصحابها.

ويمكنُ أن أضع أهم هذه الآثار في عددٍ من النقاطِ :

أولا: قصرُ المعرفةِ على الكتاب المقدس، وإن تناقضَ مع العلمِ والعقلِ.

ذهب رجالُ الكنيسة إلى قصرٍ وحصر المعرفةِ في الكتاب المقدس، تلك المعرفة التي تؤخذ عن طريقِ رجالها دون غيرهم، ورفض الآراء الأخرى. يقول "أوغسطين" في تعليقاته على سفر التكوين : « ليس في الوسعِ التسليم برأي لا تؤيدهُ الكتب المقدسة؛ لأن سلطانها أقوى من كل سلطانٍ أمر به العقل البشري »[(١)]، بل اعتبر"لوثر" أن الكتبَ المقدسةَ « النبع الأوحد لكل العلوم »[(٢)].

وبناء على ذلك فإن كل ما ذكر في الكتاب المقدس يكون صواباً وصحيحاً، حتى لو خالف الحقائق العلمية، والبراهين العقلية، وإن وجد التناقض أو التعارض فلسبب يعود للإنسان، لا لأمرٍ يتعلق بالكتابِ

---

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة (٨٣). وانظر : موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٢٤).
(٢) بين العلم والدين (٢١٢). نقلا من كتاب موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٢٤).

المقدس، يقول "أوغسطين" : « إن مؤلفات الكتب المقدسة هذه التي تعـرف بالقانونية، هي فقط التي تعلمتُ أن أعطيهـا انتباهـاً واحترامـاً، كاعتقـادي الجازم بأنه ليس هناك أحد من كتابها قد أخطأ، فعندما ألتقي في هذه الكتب بدعوى تبدو مناقضة للحقيقة، فإني عندئذٍ لا أشك في أن نصَ "نسختي" لا يحتوي على خطأ، أو أن المترجمَ لم يترجم النص الأصلي بشكلٍ صـحيح، أو أن مقدرتي على الفهم تتسم بالضعفِ » (١).

وزعم رجالُ الكنيسة أن الكتابَ المقدس يحتوي على كل أنـواع المعـارف الدينية والدنيوية، يقول " تيرتورليان" - وهو من علماءِ النصرانية، في أواخر القرن الثالث عشر - : « إن أساسَ كل علم هـو الكتـاب المقـدس وتقاليـد الكنيسة، وإن الله لم يقصر تعليمنا بالوحي على الهدايةِ إلى الـدينِ فقـط، بـل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من الكـون، فالكتـاب المقـدس يحتـوي على العرفانِ على المقدار الذي قدرَ للبشرِ أن ينالوه » (٢).

وبناء على ذلك فإنه يجبُ على كل أحدٍ أن يقبـل مـا جـاء فيـه، حتـى وإن عارضَ العقل، أو خالف شاهد الحس(٣).

---

(١) دراســة الكتب المقدسـة في ضـوء المعـارف الحديثـة (٥٧). مـوريس بوكـاي، الطبعـة الأولى، ١٩٩١م، دار الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة (١٥٣).

(٣) انظر : الإسلام والنصرانية مـع العلـم والمدنيـة (٢٨). النـصرانية والإسـلام عالميـة الإسـلام (١٥٣).

كما استأثرت الكنيسةُ بحقِ فهم الكتاب المقدس وتفسيره، ورأت في نفسها صاحبة الحق الوحيد في تقرير مدلولاته، وكشف معانيه، وحرمت الآخرين من ذلك، ومن تجرأ على فعلهِ فقد عرض نفسه لسخط الكنيسة ورجالها، وربما صدرَ بحقه اللعنة والحرمان.

إن التناقضَ الذي امتلأ به الإنجيل زاد من العداء للكنيسة ودينها، الذي يفرض على الناس قبوله، ولو كان متناقضاً، يقول "ريبوني" : (إن المتناقضات المتعددة التي تملأ الإنجيل بعهديه هي بمثابةِ شتائم في حق الله، فإن كان الإنجيلُ هو كلام الله، فهل يمكن لله أن يناقض نفسه؟!

إننا نعلم جميعاً أن عكسَ الحقيقة هو الكذب... وأن تأكيدَ حقيقة ما ونقيضها في نفس الوقت، لا يمكن أن يسفر عنه أن يكون الاثنان معاً، وفي نفس الوقت حقيقة، إن العقلَ يفرضُ علينا الاعتراف بالأمرِ الواقعِ، إذا ما كان الإنجيل كتاباً متناقضاً، فإنه لا يمكن أن يكونَ من عند الله، لا، لا يمكن للإنجيل أن يكون كلام الله، إن الإنجيل هو عملٌ من صنعِ البشر، على صورةِ البشر، فهو عملٌ ناقص، بعيد عن الكمال، وغير قادرٍ على الإجابة على كافة الأسئلة .

لقد اكتشفت الحقيقة، والحقيقة ليست في الإنجيل، وإذا ما أردت تخليص العالم من عبوديته الفكرية، إذا ما أردت المساهمة في حركتنا التي ترمي إلى

إزالةِ الاستعمار الفكري، فلا تتردد: احرقْ هذا الإنجيل، وحرِّر فكرك بسرعةٍ من هذه العبودية الشاذة) [١].

ثانيا: تأخر العلوم في أوربا واختفاء الكثير من الحقائق العلمية.

نتيجة للأحكامِ التعسفية، والأعمال البربرية التي مارستها الكنيسةُ إزاءَ العلماء، نتجَ عنه تأخر العلوم في أوروبا، واختفاء الكثير من الحقائقِ العلمية، التي عجز أصحابها عن التفوه بها؛ لأن ذلك يعني الموت، أو الحرق، أو السجن، وذلك أضعفُ الأحكامِ [٢].

إن سياسة الكنيسة كانت سبباً في تأخرِ العلوم، ونمو الحياة العلمية في أوربا، مما أدى إلى تحجيمِ الأفكارِ وقتل ما قد ينتفع به الناس، مما لا ضيرَ منه على الدين، فأصبح كل عالمٍ يخشى على نفسهِ إن هو تكلم أو أعلنَ نظريته. فبقي الكثير من ذلك في نفس أصحابه، وهذا أسهم في تأخر أوربا في تلك الفترة التي سيطرت فيها الكنيسة. وذكرت "هونكه" هذا التأخر، فقالت: «والسببُ في تأخر هذا النمو يعود في حقيقةِ الأمرِ إلى الروحِ المسيطر آنذاك، وإلى النظرةِ السائدة للكونِ والبشر، فكل تفكيرٍ خلاّقٍ كان يقفُ عاجزاً أمام طريقة التفكير القاسية التي كانت الكنيسة تدعو لها، وتعلم الجيل

(١) الصفحة السوداء للمسيحية ، نقلا من كتاب الإلحاد وأسبابه (١٧٧).
(٢) انظر : موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٤١).

الانصياع التام لتعاليمها والخضوع لأقوالها، بلا قيدٍ أو شرط...» [١].

ومما يدل على ذلك - أي أن سياسةَ الكنيسة كانت سبباً في تأخر العلوم - أنه كلما خفت وطأة الكنيسة على الناس، وقع شيء من الازدهارِ للعلوم، يقول "وايت" : « من بين الرجالِ الذين لم يكن للكنيسة عليهم من سلطانٍ، ظهرت فئةٌ في مختلفِ البقاعِ والأزمانِ، أبرزت للوجودِ مؤلفاتٍ أرقى نزعة وأثمن قيمة » [٢].

ولكن كلما وقع ذلك زادت غطرسة الكنيسة، حجراً على العلماء، ومصادرة لمؤلفاتهم، يقول "بول هازار" : « وكانت القسوة تزيدُ بمقدار ما كانت الدعاية الفلسفية تسير أكثر نشاطاً، وكان الحظرُ والمنعُ يزدادان خطورةً في البلاد التي كان الناسُ فيها يغمضونَ عيونهم ... » [٣].

ثالثاً: فقدانُ الثقة في الكنيسة ومحاربة دينها.

إن رد الكنيسة للنظريات العلمية، واعترافها بأنها تتعارضُ مع عقائدها، مع ثقة الناس فيها "أي في النظريات"، وعدم قناعتهم بما تقوله الكنيسة،

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب (٣٠٦).

(٢) بين العلم والدين (١٢٩). نقلا من كتاب موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٢٣). وانظر : ص (١٤١). وضرب العديد من الأمثلة بأولئك العلماء والأساتذة الذين لم يستطيعوا أن يتكلموا بآرائهم التي كانوا يعتقدونها، أو النظريات التي كانوا يرون صحتها.

(٣) الفكر الأوربي (١ / ٩٣). وانظر : ما بعدها ، فقد ذكر بعض العلماء والأساتذة الذين نُحُّوا عن مناصبهم من قبل الكنيسة.

وشدة تناقضها في معلوماتها التي تقدمها، جعل الناس يفقدون الثقة فيها، ويشككون في سلامةِ أقوالها، وهذا أفسح المجال للمذاهب المخالفة في الانتشار، خاصة إذا اجتمع مع هذه التناقضات شدة الطغيان، وعدم وجود الإجابة أو التبرير لكثيرٍ مما يحتاجه الإنسان، وهكذا كان حال الكنيسة، فرغبَ الناس عنها، ونبذوا دينها، وتقبلوا الأفكار المادية والإلحادية، بسبب الكنيسة وأفعالها.

يقول الدكتور سفر الحوالي : « لم يكد القرن السابع عشر يستهل، حتى كان لنظرية كوبرنيق، وما أضاف إليها برونو، وجاليليو، آثارٌ واسعة، ظلت راسخة في الفلسفة الأوربية عامة، فقد أفقدت الكثيرين ثقتهم في الكنيسة، وأدت إلى التشكيك في سلامة معلوماتها، وهو أثرٌ له أهميته القصوى، كما أنها أعطت الأولوية للتجربةِ والبحث العقلي في الوصول إلى الحقائق، وإضافة إلى ذلك قدمت إيحاءات فلسفية جديدة، فقد هزت فكرة الثبات المطلق التي كانت مسيطرة على العقلية الأوربية، وحطت كذلك من قيمةِ الإنسان ومكانته في الوجود، – أو هكذا تُخيل آنذاك – .

وفي القرن السابع عشر تبلور النزاعُ، واتخذَ شكلاً جديداً : فقد أصبحَ النزاعُ بين مرقب جاليليو وحجج الكنيسة الواهية نزاعاً بين النص الذي تعتمدُ عليه أدلتها، و... العقل والنظر الذي استند إليه أصحابُ النظريات

الجديدة »[١].

والمقصود أنه نتج عن ذلك أمرٌ في غايةِ الخطورة، وكان أشدّ الآثارِ سوءًا، وهو محاربةُ الدين لا الكنيسةِ؛ لأن الكنيسةَ تسلطت وردت النظريات باسمه، بل وساعد ذلك على نشرِ الإلحادِ، ومحاربةِ الدين، يقول "ليكونت دينوي": « إن ما أضافه الإنسان إلى الديانةِ المسيحية، والتفسيرات التي قدمها، والتي ابتدأت منذ القرن الثالث، بالإضافة إلى عدم الاكتراث بالحقائقِ العلمية، كل ذلك قدمَ للماديين والملحدين أقوى الدلائل المعاضدة في كفاحهم ضد الدين »[٢].

رابعا: تأليه العقل والطبيعة.

من أخطر الآثارِ التي نتجت عن موقفِ الكنيسة من العلم، الدعوة إلى تقديس العقل، والوثوق به، ونبذ الوحي وإخضاعه له، فوجّه النقد العقلي للعقائدِ النصرانية، مع المطالبة بإصلاحِ الكنيسة أخلاقياً[٣]، ولا غرابة في ذلك فإن عقائدها كثيراً ما تصطدمُ بالعقلِ، وبلا ريب فإن هذا الأثر بدأ بالدعوةِ إلى استقلالِ العقل عن الدين، وذلك بجعلِ كل واحدٍ منهما في دائرةٍ تخصهُ يعملُ فيها، وهذا هو مذهبُ الازدواجية، ومن أشهرِ فلاسفتهِ

---

(١) العلمانية (١٥٢).

(٢) مصير البشرية (٢٠٥ – ٢٠٦). نقلا من كتاب: الجفوة المفتعلة بين العلم والدين، محمد علي يوسف، ١٩٦٦م، دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٣) تاريخ الحضارات العام (٣/ ٤٧٩). وانظر: ص (٤٨٠).

"ديكارت" [١] فهو يتحدث عن الإيمانِ بالله تعالى، وأدلةِ وجوده[٢]، ويقصر التسليم على ما جاء من عنده جل وعلا، أما ما عدا ذلك فيؤخذ بما يقتضيه العقل، يقول "ديكارت": (ينبغي قبل كل شيء أن نستمسكَ بقاعدةٍ تعصمنا من الزلل، وهي أن ما أنزلهُ الله هو اليقين الذي لا يعدله يقين شيء آخر، فإذا بدا أنَّ ومضة من ومضاتِ العقلِ تشيرُ إلينا بشيءٍ يخالف ذلك، وجب أن نخضعَ حكمنا لما يجيء من عند الله.

أما الحقائقُ التي لم يرد عنها شيء في التنزيل فليس مما يتفق مع طبع الفيلسوف أن يسلمَ بصحةِ شيءٍ لم يتحقق منه، ولا أن يركنَ إلى الثقةِ بالحواس، أي أن يكون اطمئنانه إلى ما تلقاه في طفولته من أحكام هوجاء، أكثر من اطمئنانهِ لما يقضي به العقل الناضج » [٣].

ومما يذكر هنا أن "ديكارت" أخذ بنظرية "كوبرنيكوس" و"جاليليو" في مجالِ الفلك عن مركزية الأرض، وألفَ كتابه "العالم" [٤]، ولكنه لم ينشره

---

(١) فيلسوف ورياضي فرنسي ولد سنة ١٥٩٦م، ومات سنة ١٦٥٠م، من مؤلفاته : التأملات الميتافيزيقية، مبادئ الفلسفة، تقوم فلسفته على الازدواجية والتناقضات فهي ميتافيزيقية، مثالية، ومادية • انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (١/ ٥١-٤٥٣).

(٢) انظر : مبادئ الفلسفة (٥٩-٧٢).ترجمة د / عثمان أمين،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة، أو تاريخها.

(٣) مبادئ الفلسفة (١٠٠).

(٤) نشر هذا الكتاب بعد موت ديكارت، وقد ضمنه أكثر آرائه عن العالم، وصف العالم الجديد، وقوانينه، ودوران السيارات،والجاذبية وغير ذلك • انظر على سبيل المثال في كتابه العالم : ص

بعد علمهِ بما أصاب"جاليليو"، خوفاً على نفسه من الكنيسة.

ومن فلاسفةِ هذا الاتجاه "بيكـون" [١]، الـذي قـال عنـهُ "أندرسـن":« إن أعظمَ مآثر بيكون الفصل بين العلمِ البشري والوحي الإلهي » [٢].

ثم كانت المرحلة الثانية، وفيها الدعوة والمطالبة الصريحة بإخضاعِ الوحي للعقل عند التعارضِ، يقول"جون لوك" [٣]: « من اسـتبعد العقـلَ ليفـسح للوحي مجالاً ، فقد أطفأ نور كليهما، وكان مثله كمثل مـن يقنـع إنـساناً بـأن يفقأ عينيه، ويستعيض عنهما بنور خافتٍ، يتلقاهُ بواسطةِ المرقبِ، مـن نجـمٍ سحيقٍ » [٤].

(٧٥) وما بعدها، (٩١) وما بعدها، (٩٨) وما بعدها، (١١١) ومـا بعدها.الكتاب من ترجمـة أميل خوري، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، دار المنتخـب العـربي للدراسـات والنـشر والتوزيع، بيروت.

(١) فيلسوف انجليزي، شارك في الحياة السياسية، والوطنية، تأثر بمادية ديموقريطس، من مؤلفاتـه:أفكـار ورؤى حول تفسير الطبيعة، مقدمات للتاريخ الطبيعي والتجريبي، وصف دائرة العقـل، عـاش مـا بين ١٥٦١ –٦٢٦ م، انظـر : موسوعة أعلام الفلسفـة (١/ ٣٠٥- ٣٠٧).

(٢) نقلا من كتاب العلمانية (١٥٣).

(٣) فيلسوف ومنظر سـياسي انجليـزي، درس الطـب، واطلـع عـلى علـم الطبيعيـات والكيميـاء، والسياسة، له العديد من المؤلفات، منها : رسائل حول التـسامح، المـسيحية العقلـة، ولـد سـنة ١٦٣٢م، وهلك سنة ١٧٠٤م، انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (٢/ ٣٧٩-٣٨٠).

(٤) قصـــة النزاع بين الدين والفلسفة (٢١٤). وهكـــذا أراد هؤلاء الهـــروب من ديـن الكنيـسة وجعــل السيادة للعقل، والمقصود بهذه السيادة، أن يخـضـــع الـدين للعقـل٠ انظـر : الفـكـر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (٢٥٢ - ٢٥٣). د / محمد البهي، الطبعة الحاديـة عشرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار غريب للطباعة، القاهرة٠

ولاشكَ أن هذا العداء للكنيسة والدين الذي تـدعو إليـه، كـان رد فعـلٍ تجاه ما تمارسه الكنيسة على الناسِ من اضطهاد وتسلطٍ، فوجـدوا في العلـم والتجربة مهرباً من تسلطها وطغيانها، ولم يتوقف الأمـر، بـل تفـاقم النـزاع «بين الفريقين، فالكنيسةُ تريد أن تحـافظَ عـلى سـيطرتها ونفوذهـا، وفـرضِ آرائها وأفكارها، وخضوع الناس لها، والفلاسفةُ يريدون للعقلِ أن يتحـررَ من قيد الكنيسة، ويأخذ نصيبه من الحيـاة، ونـتجَ عـن هـذه الهـوة العميقـة استحالة الجمـع بـين العقـلِ والـدينِ، بـل قـرر الفلاسـفة أنهـما ضـدان لا يجتمعان، وأن الإيمانَ بأحدهما يقتضي الكفر بالآخر »[١].

إن هذا العصر، ويطلق عليه بعضُ الفلاسفة والكتـاب "عـصر النـور" أو "التنوير"، قد أدى إلى عـدمِ الانقيـادِ للتـضليلِ، وعـدم الإيـمان إلا بـما هـو عقلاني، وبما يفهمه الإنسان بنفسه، ولا يتعلق إلا بـما هـو معقـول وقـويم، وذلك يكون عن طريق النضال ضد الكنيـسة[٢] فهـذا هـو أحـد الأصـنام الذي اتخذه بعض المفكرين والفلاسفة في الغرب إلهاً لهم.

أما الصنمُ الآخر فهو الطبيعـة، فـإذا كـان إلـه الكنيـسة بطـاشٌ، حقـود، يعذبُ البشرَ، ويضع القيود على حرية الإنسان، ويفـرض عليـه الرهبانيـة،

---

(١) موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٦٥).

(٢) انظر : فلسفـــة الثورة الفرنسية (١٢٧) برنار غروتـــويزن، ترجمـــة عيسى عصفور، الطبعـــة الأولى، ١٩٨٢م، دار منشورات عويدات ، بيروت ٠

والخضوع المـذل لمثليـه عـلى الأرض، فـإن الطبيعـةَ إلـهٌ جـذاب، رحـبُ الصدر، ليس له كنيسةٌ ولا التزامـات ولا صـلوات، وهـذا الإلـه لـيس لـه رجالُ دين يستعبدون الناسَ لأنفـسهم، ولا كتـابٌ مقـدس متنـاقض، ولا أسرارٌ عليا مقدسة(١).

ونظراً لهذه المقارنة، كان لابد من البحث عن بـديلٍ لإلـه الكنيـسة الـذي استعبدت الناس، وردت النظريات العلمية باسـمه، فوجـدوه في الطبيعـة، يقول "سول" : « صار لزاماً على الذين نبذوا الإيمان بالله كلية أن يبحثوا عـن بديلٍ لذلك، ووجدوه في الطبيعة » (٢).

لقد كان لموقف الكنيسة من العلم والعلماء، وإظهار طغيانهـا علـيهم أثـرٌ واضحٌ في البحث عن بديل لإلهها، ولكنهـا ظلـمات بعـضها فـوق بعـضٍ، يقول "محمد قطب" : « وهذه الطبيعةُ ذاتها، وتأليهها، ونـسبةُ الخلـق إليهـا، لقد كانت إحدى الخطايا المترتبة على الخطيئة التي اقترفتها الكنيسةُ من قبل، بوقوفها موقفَ العداء من العلم والعلماء... إنها المهـربُ الـذي لجـأت إليـه أوروبا لتهرب من إله الكنيسة، وتجد ما تتعبده في ذلك الوقتِ، إذ الإنـسانُ مفطورٌ على العبادةِ سواء في ضلاله أو هداه » (٣).

---

(١) انظر : العلمانية (١٥٨ -١٥٩).
(٢) المذاهب الاقتصادية الكبرى (٥١).جورج سول، ترجمة راشد البراوي
(٣) مذاهب فكرية معاصرة (٥٢-٥٣). وانظر الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي (٢٦٥-٢٦٧).

بهذا أضحت عبادة العقل والطبيعة هي ميزة هذا العـصر الـذي يـسمى " عصر النور، أو التنوير" ونتج عـن ذلـك مـذاهب أخـر، ظهـرت في القـرن التاسع عشر[١].

وكل عاقل يرى أنه كان يجبُ عـلى الـشعوبِ الأوروبيـةِ أن تبحـثَ عـن البديل الذي يوافق العقل والفطرة، ولا يعارض الجديد لمجـردِ أنـه جديـد، إذا لم يعارض أصوله، كان على أوروبا قاطبة أن تبحثَ عن الدينِ الحق، عن الإسـلام، الـذي لا تنـاقض فيـه، فهـو لا يعـارض البراهـين العقليـة الصريحة،ولا يختصم مع الحقائقِ العلميةِ الصحيحةِ، إلا أن أوروبا حكمـت على الدينِ بسبب موقفها من الكنيسة ورجالها، فنبذت الدين بالكلية.

سادسا : ظهورُ حركات الإصلاح، مع بقاء الطغيان الكنسي .

ظهـرت بعضُ الحركات المطالبة بإصلاح الكنيسة، عـرفت بحركـات الإصـلاح الديني[٢].

ولم تـؤت هـذه الحركـات ثمارهـا؛ لأن التغيـير لم يمـس صـلب العقـائدِ

---

(١) مثل المذهب الإنساني، على يد " أوجست كومت " (وعنه انبثقت الماديات المتعددة التي تفسر الكون تفسيرا آليا، حسب القوانين التي سميت قوانين الطبيعة) العلمانية (١٦٠).

(٢) وعن بعض حركات الإصلاح ، انظر : تاريخ الحضارات العام (٤/ ٧٤). وما بعدها. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (٢٥٠). موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٥٢- ١٥٣)

النصرانيةِ المحرفةِ[١]، ونهجت هي الأخرى ذات النهج، فـردت النظريـات العلمية، واضطهدت العلـماء. وفي اعتقـادي أن هـذه الحركـات زادت مـن نفورِ الناس عن الدين؛ ذلك لأنها نادت بإصلاح رجال الكنيسة، وطالبتهم بالكـف عن الاستحواذ على حـق تفـسيرِ وفهـم الكتـاب المقـدس، وظـن النـاس أن الإصـلاحَ سـيلحق بكـل طغيـانٍ كانـت تمارسـه الكنيـسة الكاثوليكية، ولكن لما لم يقـع شيء مـن هـذا، زاد الأمـر سـوءًا عـلى سـوءٍ، فكيف إذا مارست الحركات الإصلاحية ما كانت تمارسه الكنيـسة الـسابقة من قبل، خاصة تجاه العلماء ونظريـاتهم، فـإن هـذا سـيزيد حـتماً مـن نفـور الناس من دينها، الذي به وعن طريقه تمارس هذا الطغيان.

وقد ذكر "فيشر" عن "لوثر" [٢] أنـه « لم يكـن يـؤمن بالبحـثِ الحـر، ولا بالتسامح، ولهذا رفض أن يسلمَ باحتمالِ التطورِ في الفكر الديني، بل تمسك بكل شدةٍ باعتقاده أن كل الحقائق المتصلة بالمشاكل القصوى للحياةِ والفكر

(١) ومن أسباب ذلك : فساد الدين الذي حاولت الحركات إصلاحه، حيث كان الانحــــراف في أسسه العقدية، الإبقاء علـــى النصوص المحرفة والعقائد الباطلـة، الاسـتمرار في اضـطهاد العلـماء حتى على أيدي أتباع تلك الحركات، التـأثر بالاتجـاه المـادي ٠ انظـر عـصر الإلحـاد (٤٨). مـدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (١٣٠) وما بعدها.

(٢) مصلـــح بروتستانتي ألماني، ولد سنة ١٤٨٣م، ومات سنة ١٥٤٦م، له العديـد مـن المـؤلفات منها : شرح لرسالة القديس بولس إلى أهل روما، ترجمة الكتاب المقـدس للغـة الألمانيـة، مقالـة حـــول العشاء السري، انتقد البابا بشدة، وانتقد أيضـا صكوك الغفران، ودعا إلى إصلاح رجال الكنيسة، وإلغاء عزوبة الكهنة٠ انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (٢/ ٣٦٦–٣٦٩)

كامنة في الكتاب المقدس »[١].

ويضرب "فيشر" مثالاً بما لقي "سرفيتوس"[٢] من اضطهادٍ على أيدي زعماء حركات الإصلاح الديني، حيث احتج على عقيدةِ التثليث، فما كان من رجالِ الإصلاحِ إلا أن عاقبوه بحرقه في جنيف، عاصمة الحركة الإصلاحية، وقد اشترك أحد زعماء حركة الإصلاح، وهو "كالفن"[٣] في إصدارِ قرارِ الحرقِ، ووافق عليه[٤]، ويذكر "ريبوني" أن "كالفن" قدم مساعدة لهذا الطبيب والمفكر، وذلك بأن يموت بالإعدامِ بقطعِ الرأس، بدلاً من الحرق حياً، وبعد إعدامه تم حرق جسده، مع نسخة من كتبه[٥].

وكذلك كان عداؤهم للعقل، فقد قال "لوثر" : «أنت لا تستطيع أن تقبلَ كلا من الإنجيل والعقلِ، فأحدهما يجبُ أن يفسحَ الطريق للآخر»[٦]

(١) أصول التاريخ الأوروبي الحديث (٩٨).
(٢) الإلحاد وأسبابه (٩٦). وجاء اسمه هكذا (ميشيل سرفيه).
(٣) أحد رجال حركة الإصلاح الديني، ولد سنة ١٥٠٩م، ومات سنة ١٥٦٤م، له العديد من المؤلفات منها : تأسيس الديانة المسيحية، إحياء النصرانية. دعا إلى إصلاح الكنيسة، والتوجه في العبادة إلى الله مباشرة، ورفض عزوبة الكهنة٠ انظر: موسوعة أعلام الفلسفة (٢/ ٢٣٥ – ٢٤٠).
(٤) أصول التاريخ الأوربي الحديث (١٥٤).وانظر:الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (٤٣).تضحيات في سبيل العلم (٧٠). الدكتور محمد عمر الحاجي، الطبعة الأولى ،١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧ م، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا
(٥) الإلحاد وأسبابه (٩٦).
(٦)قصة الحضارة (٢٤ / ٥٦).

ويقول : « إن العقلَ هو أكبرُ عدوٍ للدين » [١].

ويذكر "ريبوني" أن حركةَ الإصلاح عملت على هـدمٍ المعابـد والمـدارسِ، ودعا لوثر إلى حرقِ الكتب [٢].

كما أن زعماء الحركة الإصلاحية أنكروا وردوا النظريات العلميـة، حيـث اتهم "لوثر"كوبرنيكوس" بأنه منجم، مأفون، مصاب بـالمس، حيـث قـال : «يصغي الناس إلى منجمِ مأفونٍ يحاول أن يثبتَ أن الأرضَ تدورُ » [٣].

ويقول : « إن هذا الممسوس يريدُ أن يقلبَ قواعــد علـم الفلـك رأسـاً على عقب، في حين أن نصوصَ الكتاب المقدس تدلُ على أن يوشع قـد أمـر الشمس أن تقف، ولكنه لم يأمر الأرض » [٤].

وكذلك أعلــن" كالفن" « كفــرانَ كـل مـن يقـول بـأن الأرض ليسـت مركـز النظـام الكـوني » [٥]، و" كـالفن " هـذا كـــان غـير مـترددٍ في قتـلِ،

---

(١) المرجع نفسه، ذات الصفحة.
(٢) انظر : الإلحاد وأسبابه (٩٤ - ٩٥).
(٣) بين العلم والدين (٥٠)، نقلا من كتاب موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٦٢).
(٤) بين العلم والدين (٥٠ - ٥١).نقلا من كتاب موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٦٢).راجع سفر أشعيا، الإصحاح،٣٨ /٧- ٨.
(٥) نقلا من كتاب موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٦٢). وانظر : قصة النزاع بين الدين والفلسفة (٤٧).

ونفي، وحرق، من لم يكن على مذهبه [١]، بل إن حركةَ الإصلاح الديني عاقت حرية النظر العقلي من طريقٍ أخرى غير مباشرة، ذلك أن الكنيسة التي كان يهاجمها المصلحون، كان عليها أن تناضلَ من أجل وجودها، وتثبيت سلطانها؛ فأنشأت محاكم التفتيش، والرقابة على المطبوعات، وإعداد ثبت للكتبِ المحرمة على المؤمنين، وأريد به مقاومة حركة الإصلاح الديني[٢].

قلت : إن الناسَ في أوروبا - خاصة من يرى في الكنيسة ورجالها الطغيان، والخروج عن المألوف، والتمرد على الدين من قبل رجال الكنيسة، وحربها للعلمِ والعلماء - ظنوا في الحركات الإصلاحية بداية أمل في الخروجِ مما يعانون منه من الكنيسةِ، ولهذا أيدوا حركات الإصلاح، وتبعوا أصحابها، خاصة أن المصلحين انتقدوا الكنيسةَ ورجالها، فاعتقد الناس أن الإصلاح سيأتي على كل شيء، ولكن جاءت تلك الحركات بما كان وأكثر مما كان، حتى قال "وولف" : « إن المصلحين كانوا لا يقلون تعصباً عن رجالِ الكنيسة الكاثوليكية، إن لم يزيدوا عليهم »[٣].

فزعماءُ حركات الإصلاح ساروا على طريقِ الكنيسةِ الكاثوليكيةِ في

(١) انظر :قصة النزاع بين الدين والفلسفة (٤٦).
(٢) انظر : قصة النزاع بين الدين والفلسفة (٤٧).
(٣) عرض تاريخي للفلسفة والعلم (٤١) نقلا من كتاب موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٦٢).

اضطهاد العلماء، مما يدل على أن هذا الموقف أصل في الكنيسة، يقول "ريبوني " : « إن البروتستانت كانوا يحرقون الأطباءَ والعلماء إذا ما سنحت الظروف » [١].

وبهذا فإن الإنسانَ الأوروبي عاش في صراعٍ بين ما تدعو إليه الكنيسة، وينادي به العلماء، وتبديه النظريات العلمية، فوثق الإنسانُ بما يراه أقرب إلى نفسهِ، من حيث العقل والحس، ونفر من الدين والإله الذي تتسلطُ الكنيسةُ باسمه، فكانت جناية على الدين سببها الكنيسة ورجالها.

سابعا: فصلُ الدينِ عن الدولةِ .

إن من أخطر الآثارِ التي أحدثها موقف الكنيسة من العلم والعلماء، الدعوة إلى فصل الدين عن الحياة، وجعل الأحكام والطقوس الدينية في كنائس الرهبان، وما ذلك إلا بسبب غطرسة الكنيسة وإرهابها للناس، فارتبط في أذهان الناسِ أن الخلاصَ من طغيان الكنيسة يكون بخلاصهم من دينها، الذي تتسلطُ باسمه، وهكذا بقي الأمر في الغرب، صراع دائم بين رجالِ الدين والعلماء، إلى أن جاءت الثورةُ الفرنسيةُ، فحطمت كثيراً من قداسةِ رجال الكنيسة، بل والسلطة الحاكمة التي كانت تواليها.

يذكر " ألبير سوبول " أنه أُعلن عن عبادةِ الجمهورية بدلاً من العبادات

(١)الإلحاد وأسبابه (٨٢). يقول الدكتور محمد الحاجي : (لم تكن حركة المحتجين – البروتستانت- أحسن حالا من الكاثوليك في الأمر الذي يتعلق بالعلوم، حيث وقفوا عند حرفية ما جاء في الكتاب المقدس، وعذبوا كل من يخالف التعاليم). تضحيات في سبيل العلم (٧٠).

الموهومة الكاذبة، وفي بعض المناطق مُنعت الذبيحة يوم الأحد، وحولت إلى أيامٍ أخرى، ومُنعت الاحتفالات الدينية خارج الكنائس، وصُودرت في بعض الأماكن بعض الأشياء الثمينة التي تستخدم للعبادة؛ لأنها زينة التعصب والجهل[١]، وأُقر الطلاق، وأُلغي كل عزل لخادمِ العبادة الكاثوليكية يكون سببه زواج الأفراد المرتبطين بهذه الخدمة، فالكهنة المتزوجون يستطيعون العودة إلى تأدية وظيفتهم، أو متابعتها[٢]، كما أقفلت الأديار بالقراراتِ الصادرة بتاريخ ١٧ و ١٨ آب، ١٧٩٢م[٣].

وقد جاء في مرسوم ١٥ تشرين الثاني، سنة ١٧٩٣م (أيها المتحررون من الاعتقادات الدينيةِ الباطلةِ، أيها الجديرونَ بتمثيل الأمةِ الفرنسية، عليكم أن تعرفوا كيف تؤسسونَ على أنقاض الخرافاتِ المعزولة، الديانة الجامعة الوحيدة، التي لا تحوي لا أسرارًا ولا رموزاً، والعقيدة الوحيدة فيها هي المساواة، وخطباؤنا شرائعها، وقضاتنا باباواتها، وهي لا تحرق بخور الأسرة الكبرى، إلا أمام مذبح الوطن، الذي هو الأم، والآلهة العامة)[٤].

كما قرر المؤتمر الوطني سنة ١٧٩٤م، أن الجمهوريةَ لن تدفع بعد الآن

(١) تاريخ الثورة الفرنسية (٣١٩– ٣٢١) ترجمة جورج كوسى، الطبعة الرابعة، ١٩٨٩م، دار منشورات عويدات، بيروت

(٢) انظر: المرجع نفسه (٥٦٥). تاريخ الحضارات العام (٥/ ٤٨٠). رولان موسنييه، إرنست لا بروس، تعريب، يوسف أسعد داغر، فريد داغر، طبعة ٢٠٠٣، دار منشورات عويدات، بيروت.

(٣) انظر: تاريخ الحضارات العام (٥/ ٤٨٠).

(٤) المرجع نفسه (٥ / ٣٢٠– ٣٢١).

نفقات أية عبادةٍ أو أجورها، وبهذا تم فصل الكنيسة عن الدولة، ومـن ثـمّ بدأ سحبُ صلاحيات الكنيسة سواء في السياسة أو الاقتـصاد، وكـذا كـان الأمرُ بالنسبة للعلمِ، فأصبح الـدينُ مناقـضًا عـدوًّا للعلـم عنـد كثـيرٍ مـن الفلاسفةِ الأوربيين، وأصبح العـالمُ الحـقُّ هـو الـذي ينكـرُ الغيبيـات، ولا يؤمنُ إلا بما يخضع للتجربةِ والبرهانِ، « بل وصل الأمر إلى أن مجردَ ذكر الله [تعالى] في البحث العلمي يعتبر مفسداً له، ومخرجاً له من دائـرةِ العلـم إلى دائرة الغيبيات، التي لا دليل عليها فيما يقولون، إنما يصبح الإنسان ذا تفكير علمي إذا أنكرَ تلك الغيبيات » [١].

فأصبح المفهوم الديني عنـدهم « هـدمٌ للمـنهجِ العلمـي، وتـشويه لـه، وإعطاء حصيلة محوطة بالشك، ولو كانت كل الأدلة تؤيدها » [٢].

وأصبح الفلاسفةُ والناقمون على الكنيسةِ يرون في العلـم أساسـاً لتنظـيم الحياة، وأن العلوم هي التي تعلّم الإنسان كل ما هو خير ، وهي التي تزلزل أوهامه، وتفتح له إمكانات جديدة لتحقيق سعادته[٣].

وبعد هذا الصراع، بل الجرأة على الدين بسبب الكنيسة، أقـرت الحكومـةُ

---

(١) العلمانيـــة (١٠) من محاضرة لمحمد قطب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ، من موقف الإسلام والكنيسة من العـــلم (١٦٨).

(٢) مذاهب فكرية معاصرة (٥١).

(٣) انظر : فلسفة الثورة الفرنسية (٣٧ -٣٨).

الفرنسيةُ سنة ١٩٠٥م، قانونا يقضي : « بفـصلِ علاقـات الـدين بالدولـة، ويقومُ على أساسِ التفريقِ بينهما، وإعلانِ حيادِ الدولةِ تجاه الدين »[١].

ولم يكـن هـذا القـرار محـدوداً بالحـدود الفرنـسية، بـل سـارت الـدول الأوروبية في ذات الطريق، ونُحيت الكنيسة بدينها عن كل شئـون الحيـاة، واقتصر فعلها على الكنائسِ، وإلقاء المـواعظ فيهـا، ومـا هـذه الحـربُ إلا بسبب غطرسةِ الكنيسة وطغيانها، وفسـاد رجالهـا، وجمـودهم، ورفـضهـم لكل ما هو جديد من كشوف ونظريات علمية، بلا سبب يدعو لهذا الرفض والرد .

ثامنا : الفصلُ بين نزعتين فطريتين تطلبهما النفس البشرية، وهمـا الـدين، والتعلّم.

إن الكنيسة بموقفها هذا من العلمِ، تفصل بين نزعتينِ فطريتين، العبادة، والتعلّم، فإن النفسَ البشرية مفطورة عليهما، بغض النظر عن مشروعيةِ تلك العبادة، أو صواب ذلك العلم، يقول"محمد قطب": « إن جريمةَ الكنيسةِ - فوقَ تشويهِ صورةِ الدين وتنفيرِ الناس منه، الذي تلتقي عنده وتنتهي إليه كل جرائمها-، إنها تفصلُ بين نزعتين فطريتين سويتين متكاملتينِ-نزعةُ العلمِ ونزعةُ العبادة -، وتنشئُ بينهما عداوةً لا وجودَ لها

(١) موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٦٨).

في أصلِ الفطرةِ، وصدامًا لا ينبغي أن يوجدَ في النفس السوية، فتمزقُ النفس الواحدة مزقاً، وتثيرُ في داخلها القلقَ والاضطراب...[إن] الكنيسةَ بموقفها الأحمق تفصلُ بين هاتين النزعتين الفطريتين المتكاملتين، وتقولُ للناس : إن أردتم الدينَ، فاتركوا العلم، ومن أراد العلم فقد خرجَ على الدين.. وهل كان هناكَ نتيجةً منتظرةً من هذا الموقف، إلا أن يترك الناسُ ذلك الدينَ الذي يحجبهم عن العلم، ويحجر عليه، وأن يسيروا مع العلم في تياره الزاخر، الذي يأتي كل يوم بجديد... على أن الشر لم يقف عند هذا الحدِ – وهو بشعٌ في ذاته –، لم يقف عند هجر الدين من أجل العلم، بل وصل إلى كراهيةِ الدينِ والنفور منه، ونفيه نفياً باتاً من مجال البحث العلمي، على وجه الخصوص لا تجدُ في الجاهلية المعاصرة حقيقةً علميةً واحدة تسندُ بإرجاعها إلى أصل ديني! بل على العكس، مجردُ ذكر الدين أو الله سبحانه وتعالى- في مجال البحث العلمي كفيلٌ – عندهم – بالشكِ في الحقيقة العلمية، أو باستهجان المنهج على الأقل؛ لأنه منهجٌ غيرُ علمي !! كفيل بإثارة الامتعاض في جميع الأحوال. وصدق الله العظيم M r s t u v w x y z { | } ~ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ L [الزمر: ٤٥] (١).

(١) مذاهب فكرية معاصرة (٥٠-٥١).

وإذا تقرر أن الإنسانَ يميل إلى التدين بفطرته، فإن بعض الدعوات في الغرب لإصلاح الكنيسةِ لا يمكن القول بأنها أرادت الهروب، أو الخروج من الدين، فهذا تعميم خاطئ، ولكنها أرادت محاربة الفساد الذي كان عليه رجال الدين الكنسي، يقول "ولز" « كانت ثورة الشعب على الكنيسةِ من الناحية الأخرى، دينية بالضرورة كذلك، فلم يكن اعتراضهم على قوةِ الكنيسة، بل على مساوئها، ونواحي الضعف فيها، وكانوا يريدون كنيسة شديدة الصلاح والشجاعة، لكي تعينهم وتنظمهم ضد شرورِ الأقوياء، وكانت حركات تمردهم على الكنيسةِ، سواء أكانت في داخلها أو خارجها، حركات لا يقصدُ بها الفكاك من الرقابةِ الدينيةِ، بل طلب رقابة دينية أتم وأوفى، لم يطلبوا رقابة دينية أقل، بل طالبوا بالمزيدِ منها، ولكنهم أرادوا أن يتحققوا من أنها دينية، وقد اعترضوا على البابا، لا لأنه الرأس الديني للعالم، بل لأنه لم يكن كذلك، أي لأنه كان أميراً ثرياً دنيوياً، بينما كان يجبُ أن يكونَ قائدهم الروحي » (١).

والمقصودُ أن العلمَ والدين لا نزاع ولا تنافر بينهما، وما وقع بينهما من صراعٍ وتنافرٍ، إنما كان بسبب الكنيسة وطغيانها، ودين رجالها الذي لا يمت للدين الصحيحِ بصلة، يقول الدكتور "عبد الحليم عويس": « إن المسيرةَ التاريخية لمبادئ الدين والعلم المنبعثة من أصولهما ومبادئهما، "وليس

(١) معالم تاريخ الإنسانية (٣ / ٩٨٩ – ٩٩٠).

سلوك رجال الدين"، لا تفيد تنافراً ما، بل تفيـد التعاضـد والتكامـل، وإذا كانت حضارة عصر النهضة التي انبثقت عنهـا الحضارة الحديثة قد أنتجـت لنا روح خصام بين الدين والعلم، فإن مبعثَ هـذا في الحقيقـةِ هـو موقـف رجال الكنيسة -وليس الـدين نفسه-، ويـضاف إلى ذلـك موقـف بعـض رجال العلم أيضًا؛ هؤلاء الذين اتخذوا رد فعل قاسٍ ضد رجال اللاهـوت المتشددين، فذهبوا إلى تحطيمِ كل ما هو ثابت في الكون والفكر !! » [١].

تاسعا : نفيُ الغايةِ والقصدِ والقول بالصدفة.

إن من الآثار التي خلفها صراع الكنيسة مـع العلـم، القـولُ بنفـي الغايـة والقصد- عناداً وحرباً على الكنيسة -؛ لأن هذه الأمور متعلقةٌ بـالله تعـالى، فالإنسانُ خلق لغايةٍ، وهو يسيرُ في هـذه الـدنيا إلى نهايـة، ومـن ثـمّ سـوف يحاسبُ على كل صغيرةٍ وكبيرة، فالدينُ يقولُ بذلك، والكنيـسةُ تتـسلطُ باسمه، إذًا لا بد من هجر كل ما جاء عن طريقهـا، واعتبـارهِ مـن الباطـل والتخرصات التي لا يقومُ عليها دليلٌ، طالما أنها تعارض العلم.

لقد تذرع العلماءُ بشتى الذرائع لإبعاد الحديثِ عـن القـصدِ والغايـة مـن مجالِ البحث العلمي، انتقاماً من موقف الكنيسة التي حاربت العلـم باسـم الدين، ذلك أن الحديثَ عن "الغايةِ" هو حديثٌ عن الله تعالى، وغايتـه مـن

(١) لا نزاع بين الدين والعلم (١٢). الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار النفائس، بيروت.

خلق هذا الكون، والغاية من خلق هذا الإنسانِ أيضًا، والعلم الذي نـشأ في ظلِ العداء مع الدين لا يريد أن يلتزمَ بـشيء جـاء عـن طريـق الـدين؛ لأن الالتزام عندهم لا يجري إلا من خلال الكنيسة، والكنيسة هي الطغيان، بـل بلغ الأمر إلى نفي القصد، لا إبعـاده عـن مجـالِ البحـثِ العلمـي فحـسب، وخرجت نظرياتٌ علمية !! تقول إن الكونَ وجد بالصدفةِ، بل حين أسـند الخلق إلى الطبيعة، بـدلاً مـن الله تعـالى، نفـي القـصد عـن الطبيعـة، وقـال قائلهم: "إن الطبيعةَ تخبطُ خبط عشواء" [١]. كما أدى موقـف الكنيـسة مـن العلم إلى إذكاءِ فكرةِ المصادفةِ، وذلك لأن المثقفَ إذا عجز عقله عـن إدراك أمرٍ، أو تعسرَ عليه فهم سببه، فسيرجعُه إلى المصادفةِ، ولـن ينظـرَ إلى الـدين طالما أن الأفكارَ الدينيةَ في نظرهِ متعارضةً مع الحقائقِ العلميةِ.

عاشرا: القولُ إن الدينَ لا يتفق مع الحقيقة .

من الآثار التي أحدثها الصراع بين الكنيـسةِ والعلـم، القـول بـأن فكـرةَ الدين والحقيقة غير قابلتين للاتفاقِ، وأن الدينَ والأخـلاقَ غـير مـرتبطين، ومن المعـلومِ أن النصرانيةَ المحرفة كانـت في نفـوس الكثـيرين عبـارة عـن مؤامرةٍ فظةٍ، لم تنتج إلا الجرائم والأكاذيب عبر التـاريخ، ويـرى هـؤلاء أن من ينتسبون للنصرانيةِ، لن يكونوا أفضل من الجاحدينَ لها، وأنه يمكـن أن

(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة (٥٢).

تكون جمهورية من الملحدين أكثر فضيلة، وأكثر نزاهة من الكاثوليكيين، والبروتستانتيين [١].

ولاشك أن مسألةَ التناقض وعدم قبول العقل لكثيرٍ من عقائدِ رجال الدين، أدى إلى هذا القول - وهو أن الحقيقةَ لا تتفقُ مع الدين-. وبالنظرِ في الآراءِ والأفكارِ التي نادت بها الكنيسة من قولها: إن الله تعالى ثالثُ ثلاثة، وأن المسيحَ عليه السلام ابن الله، وفي ذات الوقت هو إله، والقولُ بالصلب، والعشاء الرباني، وصكوك الحرمان، وصكوك الغفران، وزعمها أن الحقَ والصوابَ معها دوماً، كل ذلك وأمثاله جعل المفكرين والعلماء، يرون أن ما جاء عن طريقِ الكنيسةِ باسمِ الدينِ لا يتفقُ مع الحقيقةِ التي يرون أنها تثبتُ عن طريق العلمِ، والتجربةِ، ويؤيدها العقلُ، ولهذا كما يقول – بول هازار-: «إن الدين الموحى به كان منظوراً إليه على أنه عدو من جانبِ فلاسفةِ ذلك العصر » [٢].

ويقول "محمد قطب" : « فإن هذه الألغاز التي ابتدعتها المجامعُ المقدسة في شأن الألوهية لم تكن معقولة، ولا مستساغة، فما يمكن للعقل البشري أن يتصورَ ثلاثة أشياء، هي ثلاثة، وهي واحد في ذات الوقت...ومن أجل كون هذا العبث المقدس الذي ابتدعته المجامع المقدسة غير معقولٍ، ولا

(١)انظر :الفكر الأوروبي (١/ ٤٥ و ٥٨ و ٥٩).
(٢)الفكر الأوروبي (١/ ٧٥).

مستساغ، فقد سخرت الكنيسة العقل في محاولة إخراج هـذا المـزيج المتنـافر المتناقض في صورةٍ فلسفية مستساغة"، أو هم قـالوا عنهـا إنهـا مستـساغة"! وفي الوقت ذاته حجرت على العقلِ أن يناقشها، لئلا تجر المناقشة إلى القـولِ بأنها غير معقولة، على الرغم من كل الصناعة العقلية التـي وضـعت فيهـا، ومن ثم نـشأت في الفكـرِ الأوربي تلـك المـسلمات، أو العقائـد المفروضـة فرضًا، التي لا يجوز مناقشتها Dogmas؛ لا لأنها – في حقيقتها - من الأمـورِ التي ينبغي للعقلِ أن يسلمَ بها دون مناقشة، ولكـن لأنهـا مناقـضة للعقـل، ومفروضة عليه فرضاً من قبل رجالِ الدين، الـذين زعمـوا لأنفـسهم حـق صياغة العقائد، وفرضها على الناسِ بالقوةِ، دون أن يكون لهم حق المناقـشة أو الاعتراض، وإلا كانوا مهرطقين مـارقين، يجـوز فـيهم كـل شيء، حتـى إهدار الدم وإزهاق الأرواح » [١].

الحادي عشر: القولُ إن الدينَ خرافةٌ ابتدعها رجال الدين.

أدى الصراع بين الكنيسةِ والعلم إلى الزعمِ بأن الدينَ خرافةٌ، ابتدع القول بها الرهبانُ ورجالُ الدين. وهذه الفكرة نـادى بهـا الفلاسـفة العقلانيـون، "والانسكلوبيديون" [٢]، حيث يرون : «أن الدينَ خرافةٌ أوجـدها الرهبـان

(١) مذاهب فكرية معاصرة (٥٠٧).

(٢) هم جماعة من الكتاب والمفكـــرين في القرن الثامن عشر الذين كانوا يحررون " دائرة المعارف الانسكلوبيديا" وهذا قاموس كبير يبحث في الفن والفلسفة ... وكان علـى رأس هؤلاء " ديدرو" ، و"فولتير"، وغيرهم. وقد أظهروا حقدهم وكراهيتهم للدين، وكان هجومهم عليه

ورجال الدين، فقد نشأ في كل عصر طبقة من الكهانِ والرهبانِ الخاملين الذين لا عمل لهم، وهؤلاء هم الذين أوجدوا المراسيم الدينية، وستروا أنفسهم بستار من الغموض والرهبة.

إن هذه الطبقة التي نجحت في أن تأكلَ في المعابدِ دون تعبٍ، والتي عاشت طفيليةً على المجتمع، هي التي اخترعت فكرةَ الدين والخالقِ، مستغلةً في ذلك جهل المجتمع، وجعلت من هذه الفكرة الدينيةِ موردَ عيشها ورزقها...ولكنَّ تقدمَ العلم فتحَ أبصارَ الناسِ، وحلَّ لهم أسرارَ الطبيعة وطلاسمها، فلم يعد هناك مكانٌ لوهم اسمه "الله"، ولم يعد هناك مكانٌ لخرافةٍ مظلمةٍ اسمها "الدين"» [1].

إن الهجومَ على الدينِ استخدمَ كوسيلة في الكفاح ضدَ الحكمِ المطلقِ الموجود؛ لأنهم لم يستطيعوا مواجهة الحكم مباشرة، فلجأوا إلى الدين[2]. ولا شكَ أن هذه المهاجمةَ ردةُ فعلٍ لجرائمِ الكنيسةِ.

لقد أصبحَ إنكار الدين في نهاية القرن الثامن عشر بدعةً شائعةً، وأصبحَ التدينُ عنوانَ الرجعيةِ والتأخرِ[3]، كما أن الأفكارَ المعارضةَ للدينِ،

تحت ستار الهجوم على الكنيسة. انظر : موقف الدين من العلم (٣٠) هامش (٢) علي فؤاد باشكيل، ترجمة أورخان محمد علي،دار الوثائق، السلمية، الكويت.

(١) موقف الدين من العلم (٣٠-٣١).

(٢) انظر : موقف الدين من العلم (٣٤).

(٣) انظر : المرجع نفسه (٤٣).

والداعية للإلحاد، أخذت طابعَ العلميةِ، وأكثرت من البراهين على أنها حقائقٌ ثابتةٌ، لا تتبدلُ ولا تتغيرُ، بغضِ النظرِ عن صدق هذه البراهين.

الثاني عشر: المطالبةُ بحرقِ الكتابِ المقدس.

من الآثارِ التي خلفها موقف الكنيسة من العلمِ والعلماء، ومصادرة الكتبِ وحرقها، الطعنُ في كتابها المقدس، والقول إنه سبب الشرور والآثام، وأنه وقفَ في طريقِ البشرية؛ في تقدمها العلمي والحضاري، ومن هنا جاءت بعض النداءات المطالبة بحرقه، يقول "ريبوني": « لقد اكتشفت الحقيقة، والحقيقة ليست في الإنجيل، وإذا ما أردت تخليص العالم من عبوديته الفكرية، إذا ما أردت المساهمة في حركتنا التي ترمي إلى إزالةِ الاستعمار الفكري، فلا تتردد: أحرق هذا الإنجيل، وحرر فكرك بسرعة من هذه العبوديةِ الشاذة » [١].

ويقول "إنجرصول": - بعد أن هاجمَ الكتابَ المقدس، وهاجم الكنيسة، ورفض بإلحاحٍ إلوهية عيسى عليه السلام، أو أن يكون ابناً لله تعالى-: « لعل قادة اللاهوت يتساءلون: كيف يمكن أن أكونَ بهذا السوءِ لأُهاجم الكتاب المقدس؟ فأقولُ لهم: لأن هذا الكتاب قد اضطهد حتى الموت أفضل وأحكم الأشخاص، هذا الكتاب الذي تقولون إنه مقدسٌ قد

---

(١) الإلحاد وأسبابه (١٧٧).

أوقف تقدم البشرية، وسمم منابع المعرفةِ، وبـددَ طاقـات البـشر.. إن هـذا الكتابَ المقدسَ هو عدو للحريةِ، ومساند للعبودية؛ لأنه بـذر الكراهيـة في العائلاتِ والأممِ، وأشعل نيران الحروب، وأفقر العـالم، وفـرض العبوديـة على النساء والأطفال، وجعـل مـن الكليـاتِ والجامعـاتِ نبراسـاً للخطـأ، وكراهية العلم، إن هذا الكتابَ قد ملأ المسيحيةَ بالفِرقِ المتناحرةِ، القاسـية، الجاهلة، التي تقتل باسم الدينِ ولصالحهِ ! إن هذا الكتابَ قد أوجد محـاكم التفتيش، واخترع آلات التعذيب، وملأ السجونَ، وسـلب عقـل الملايـين، ليزج بها في المصحاتِ العقليـةِ.. إن هـذا الكتـابَ ... يـضع الجهـلاء فـوق العلماء... إنني أهاجمُ ذلك الكتاب المقدس؛ لأنه عـدو الحريـة الإنـسانية، ويمثل أكبر عقبة في طريقِ التقدم الإنساني.. والآن دعوني أنا أوجـه سـؤالاً إلى رجالِ اللاهوت : كيف يمكن أن تكونوا أنتم بمثلِ هذا السوء، لتدافعوا عن ذلك الكتاب » (١).

الثالث عشر: زيادة تخبط الكنيسة وكثرة حماقاتها .

من الآثارِ التي أحدثها صراع الكنيسة مع العلـمِ، أنهـا تعـيش حالـة مـن الخـوف والترقـب، مخافـة عـلى نفـسها، ممـا جعلهـا في حالـةٍ دائمـةٍ مـن الاضـطراب قـديماً وحـديثاً، ولهـذا تتخـبط كثـيراً، وترتكـب العديـد مـن

(١) لنتتهي من الكتاب المقدس ، نقلا من كتاب الإلحاد وأسبابه (١٤٤ - ١٤٥).

الحماقاتِ نتيجة لذلك الخوف. وقد اهتبلَ خصومُ الكنيسة تلك الحماقات، في التنفير منها، والكفر بدينها. ومما ارتكبته الكنيسة : إنشاء محاكم التفتيش، وذلك لمطاردةِ المخالفين لها، وإذا كانت محاكمة الأحياء مقبولة - بصرف النظرِ عن تلك المحاكمةِ وصدق التهمة على المُحَاكم - فإنه من الحماقةِ، إخراج الميت من قبره ومحاكمته، وهذا ما فعلته الكنيسة، فقد قام البابا "إيتين السادس" بإخراجِ جثمانِ سلفه "فورموز" بعد دفنه بعدة أشهرٍ، وقال بإدانته، وأمرَ بقطعِ ثلاثةِ أصابعٍ من يدهِ اليمنى، ثم رُمي في النهر، وتم استخراجُ جثمانه من النهر، ودفنه سراً. وفي عام ٩٠٥م، علم البابا الجديد "سرجيوس الثالث" بهذه الواقعة فأمرَ بإخراجهِ من مقبرته، وارتدائه الثياب البابوية، وأعيدت محاكمته، ثم قُطعت رأسه، وثلاثة أصابع أخرى، ثم أعيد إلقاؤه في النهر، وفي هذه المرة لم يهتم أحد بإخراجه ودفنه!!! وسبب هذه المحاكمة أنه وجدت تعديات كهنوتية عند تعيينهِ، ولم يلتزم بالحرمانِ الذي كان ضده، كما لم يلتزم بألا يحتال على الوظائف أو المهامِ الكهنوتية !!! (١).

وكذلك : هل يحاكم أحد في سن السابعةِ ويُتهم بالهرطقةِ ؟؟ إلا في دين الكنيسة !!! يذكر "ريبوني" أنه كان في خدمةِ الكنيسةِ جيشٌ من الرجالِ المخلصين لأهدافها، كان يحق لهم تعذيب الرجال من سن الرابعة عشر،

(١) انظر : الإلحاد وأسبابه (٧١ - ٧٢). و (٨٣).

والنساء من سن الثانية عشر، وقامت لجانُ محاكم التفتيش بإلغاءِ هذه التفرقة من قبيل المساواةِ بين الجنسين !!! وجعلت سنَ المساءلة من عشرِ سنوات، وهناك حالات لأطفالٍ تمت محاكمتهم في سنِ السابعةِ، وتم تعذيبهم وإدانتهم كهراطقة، وأبناء الهراطقة كانوا هراطقة بالتبعية[١].

وهذه المحاكم لا زالت صورتها موجودة حتى اليوم، فعندما كتب الأب " ليوناردو بوف" في مطلع الثمانينات : "إنه يتعينُ على الكنيسةِ نفسها أن تبدأ باحترامِ حقوقِ الإنسان"، فإن " لجنة عقيدة الإيمان " - وهو الاسم الرسمي الجديد لمحاكمِ التفتيش، منذ مجمع الفاتيكان الثاني ١٩٦٥م- أدانت " ليونارد بوف"، واستدعتهُ للمحاكمة، وجلسَ على نفس الكرسي الذي جلسَ عليه كل من "جاليليو" و"برونو"، ويقول عن نفسه بأنه انحنى تحيةً لذلك المقعد، وشكرَ اللجنةَ على الشرفِ الذي منحتهُ له بالسماحِ له بالجلوسِ عليه، وكان القرار بعد المحاكمةِ أن يظلَ قسيساً، ولكن ليس له حق في الكتابةِ أو النشرِ، ولكون القس"ليوناردو بوف" له نشاطه في الكنيسة البرازيلية، ويساهم في المؤتمراتِ والندوات المختلفةِ، فقد تلقى الأمرَ من روما بمغادرةِ البرازيل، وأن يختارَ ديراً في الفلبين، أو في كوريا، أو أن ينسحبَ من أي اتصالٍ بالعالمِ الخارجي، فآثر ترك الكنيسة.

---

(١) انظر : الإلحاد وأسبابه (٨٢- ٨٣).

وقد علق " ريبـوني" عـلى ذلـك بـأن هـذه القـضية تكـشف أن الكنيـسة الكاثوليكية، ومحاكم التفتيش، لا تزال تعمل بـنفسِ صرامـةِ المـاضي، وأمـا عدمُ تعرض " ليوناردو بوف" للتعذيبِ، فذلك يرجع إلى أن الكنيسةَ لم يعد في مقدورها عمل ذلك، لكنها أجبرتهُ على تركِ الخدمـةِ، كـما أنهـا تكـشفُ زيف القول إن النصرانيةَ تتمـشى مـع حقـوقِ الإنـسان، وأن هـذه الفكـرة خاطئة رسمياً وعملياً، فالكنيسة تحاربها بكل قوة [١].

ومما يدل عـلى سياسـة الكنيـسة التـي تحـارب العلـوم : تلـك الفهـارس والقوائم التي تصدر عنها تباعاً بالكتبِ المحرمةِ، ومنع دور النشر مـن نـشرِ أي كتابٍ لا يكون مرخصاً من هيئةٍ دينيةٍ خاصة بـذلك، وقـد بـدأت هـذه الرقابة منذ عصور النصرانية الأولى[٢].

ولا تزال سياسة الكنيسة كما كانت، ولا أدل على ذلك من تلـك القـوائم التي تصدرها بأسماء الكتب التـي يمُنـع الاطـلاع عليهـا، ومـن الكـشوف الأخيرةِ ما صدرَ سنة ١٩٦١م، وليست هذه القوائم وحدها هي المدانة، بل كل من يقرأها [٣].

ومن دلائلِ هذا التخبط والتذبذب في الآراءِ ما يظهر من حينٍ لآخر، مـن

---

(١) نقلا من كتاب الإلحاد وأسبابه (١١٦ – ١١٧). بتصرف.

(٢) انظر : النزاع بين الدين والفلسفة (١٧٠-١٧١).

(٣) انظر : الإلحاد وأسبابه (٩٦ – ٩٧).

تضارب في موقف الكنيسة تجاه بعض الأفكار والنظريات، ومن ذلك موقفها من نظرية " التطور"؛ فمن المعلوم أن الكنيسة حاربت هذه النظرية، لكونها تتعارض مع فكرة الخلق كما يذكرها الكتاب المقدس[(١)]، - ونظرية التطور باطلة، بالنصوص الشرعية، والبراهين العلمية- . وبقيت الكنيسة على موقفها ذلك قرابة قرن ونصف، ثم هي تعلن الآن أن هذه النظرية لم تكن متضاربة مع تعاليمها، ولا مع ما يقرره كتابها المقدس، يقول "المونسينيور جيان فرانكو رافاسي"رئيس المجلس البابوي للثقافة : إن «نظرية التطور لا تتعارض مع تعاليم الكنيسة الكاثوليكية، ولا مع رسالة الإنجيل واللاهوت، وهي في الحقيقةِ لم تكن موضع إدانة يومًا » [(٢)].

غير أن البابا "بينيدكت" السادس عشر، انتقدَ بشدةٍ نظرية "داروين"[(٣)] عن التطورِ في خطابٍ له بألمانيا، وقال إنه بموجب النظريات المتأتية عن عملِ "داروين"، فإن العالَم هو "نتيجة عشوائية للتطور، وهو بالتالي شيء غير منطقي".

وكذلك أعلن الكردينال الكاثوليكي "كريستوف شوينبورن" - وهو أحد

---

(١) راجع : العهد القديم ، سفر التكوين، الإصحاح ١ / ٢٦ – ٢٧

(٢) http://www.abouna.org وانظر : http://www.alarabalyawm.net

(٣) عالم طبيعي، انجليزي، ولد سنة ١٨٠٩م، وهلك سنة ١٨٨٢م، من أهم مؤلفاته : أصل الأنواع، انظر : بنية الثورات العلمية (٣٠٧- ٣٠٨).

طلاب البابا "بينيدكت"–: أن نظرية التطور لا يمكن أن تتعايش مع المعتقدات المسيحية[١].

وهذا التذبذب من الكنيسةِ تجاه النظرية، يأتي في وقت ظهرت فيه كشوفٌ علمية جديدة تبطلها، ومن ذلك ما ذكره طائفة من علماءِ الآثار، وعلماء أصول الجنس البشري، من اكتشاف أقدم هيكلٍ عظمي لأصل الإنسان، وذلك سنة ١٩٩٢م، في صحراء آفار الأثيوبية، وبهذا الكشف يزداد بطلان نظرية "داروين" [٢] .

والمقصود هنا أن قبول الكنيسة لنظرية التطور، أو قل تراجعها في موقفها منها، جاء في وقت ظهرت فيه كشوف علمية جديدة تضاف للأدلة السابقة الدالة على بطلان هذه النظرية، وبهذا الموقف تدخل الكنيسةُ في صراع جديد مع العلم والعلماء، فالكشف العلمي الجديد يقول ببطلان النظرية، والكنيسة تقول بعدم تعارضها مع إنجيلها.

وقفة أخيرة لابد منها :

إن الحديثَ السابق عن الكنيسةِ وسوء فعالها، لا يعني أن العلماءَ ليسوا شركاء في هذه الجناية على الدين، أو أنهم كانوا على صوابٍ في كل ما

(١) http://www.abouna.org
(٢) http://www.dw-world.de/dw

يقولون، فالعلم مهما بلغ لا يمكنه الإدعاء أن كل ما جاء به حقٌّ وصـواب، بل إنَّ من الثابت عجز العلم في أحايين كثيرة عـن إدراكِ أو تفـسير مـا يقـع للإنسان في حياته، وهذا العجز أقرَّ به أساطين العلم عـلى مـرِ العـصور[١]، يقول "سوليفان" : « لقد أصبح العلمُ شديد الحساسية ومتواضعا نسبياً، ولم نعـد نلقـن الآن أن الأسـلوب العلمـي هـو الأسـلوب الوحيـد النـاجح لاكتساب المعرفة عن الحقيقة » [٢].

ويقول: « إن عدداً من رجالِ العلم البـارزين، يـصرون بمنتهـى الحـماس على حقيقةٍ مؤداها أن العلمَ لا يقدم لنا سوى معرفةٍ جزئية عن الحقيقةِ»[٣].

وإذا كان الأمرُ قد وصل في أوروبا إلى الحالِ الذي أشرت إليه في المباحث السابقة، فإن من المسلّم به أن الصراعَ لم يكن صراعاً بين الدينِ والعلم، بـل كان صـراعاً بين دِيـن رجـالِ الكنيـسة والعلـم، ولا غرابـة أن يقـعَ هـذا التصادم بينهما؛ لأن دين الكنيسة دينٌ محرَّف[٤]، وإذا تقـرر ذلـك، فـإن فيـه

---

(١) انظر العلـــم في مواجهة المادية قراءة في كتاب حـــــدود العلــم لـ "سوليفان " (١٤) ومـا بعدها. د/عمـــاد الدين خليل، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م ٠ مؤسسة الرسالة ٠

(٢) المرجـــــــع نفسه (٣٣).

(٣) المرجــــــع نفسه (٣٤). وانظر : مدخل إلى مـــوقف القرآن الكريم من العلم، د/ عمـــاد الدين خليل (٢١) وما بعدها. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، مؤسسة الرسالة ٠

(٤) يرى المثقفون : أنه لا سند تاريخـــي يربط بين الإنجيـــــل الحاضــــر والإنجيـل الـذي أنـزل علـــى سيدنا عيسى عليه السلام.عدم ممارسة سـيدنا عيـسى عليـه الـسلام لهـذه العقائـد أو الطـــقوس التي يمارسها النصارى ٠ وعلى هذا فالديـــانة النـصرانية ليست هي التـي جـاء بهـا

دلالة واضحة على أن الدينَ الصحيح، والعلم الثابت بيقين، لا يمكن أن يقعَ بينهما صراعٌ ولا نزاع، فكلاهما من رب العالمين، « فالدين من الله، والله هو الحق كما سمى نفسه تعالى، ولا يصدر عن الحقِ إلا حقٌ، وما صحَّ من العلم فهو حق، ولا يجافي الحق نفسه ، فلا جفوة إذن بين الدين الحق والعلم الحق » [١].

والإسلام هو دين الله الحق، ولهذا فهو يختلف عن النصرانية في موقفه من العلم والعلماء، فكتاب الله تعالى يثني عليهم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمدحهم، ولذلك ألف علماء الإسلام كثيراً في بيان فضله وآدابه، وما كان لأمر هذه مكانته في نصوص الشريعة، أن يناقض أو يعارض الدين البتة، بل إن الإسلام ينظرُ للعلم على أنه من الدين، بل يوصل إليه، ويقرب منه.

عيسى عليه السلام.وهذا كله وغيره قد جعل المثقفين يفرون من الدين. انظر : الجفوة المفتعلة بين الدين والعلم (١٤-١٥).

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين (٦ - ٧). ويقول الدكتور عبد الحليم عويس: (الدين بدأ مع آدم أبي البشرية، والعلم بدأ معه أيضا، كما تجمع على ذلك كل الكتب المقدسة، التي هي المصدر الوحيد للتاريخ لهذه الفترة المبكرة جداً من حياة البشرية). لا نزاع بين الدين والعلم (٧).

الخـــاتمة

بعد هذا العرض المختصر يمكن القول:

١ - أنه لا تعارض بين العلم والدين الحق، وهذا ما يتميز به الدين الإسلامي.

٢ - أن الصراع الذي وقع في الغرب بين العلم والدين، إنما كان بين العلمِ ودين الكنيسة المحرف.

٣ - أن رفض النظرياتِ العلمية من قبل رجال الكنيسة، وسوء سلوكِ رجالها، أدى إلى بعد الناس عن الدين، ونبذهم له، ونفورهم منه، مع تقديسهم للعلمِ والعقل.

٤ - أن الكنيسة حاربت النظريات والكشوف العلمية، رغبة منها في الإبقاءِ على قدسيةِ رجالها، وتحقيقِ أهدافها.

٥ - أن صراع الكنيسة مع العلمِ كان له آثارٌ خطيرة شهدتها الساحة الأوربية، ولا تزال حتى وقتنا الحاضر.

٦ - أن الكنيسة لا تزال تعيش في حالة من الخوف والاضطراب، والدليل على ذلك تلك التنازلات التي تقدمها في هذا الوقت، من اعتراف بنظريات يكفر بها كثير من عامة الناس، ناهيك عن علمائهم.

٧- من خلالِ ما تم عرضه فإنه يجب عـلى المسلمين الـدعوة إلى ديـنهم بالتي هي أحسن، مع بيـان محاسـنه وفـضائله، ومـن ذلـك تقـديره للعلم والعلماء، وبيان أنه لا يعادي النظريات العلمية، ولا يعارض ما يحقق مصلحة البشرية، طالما أنهـا لا تعـارض أصـوله العقديـة، وأحكامه الشرعية.

المراجـــع

١ - الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د/محمد رشاد سالم،الطبعة الأولى،١٤٠٤ هـ.

٢ - الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، الطبعة السادسة، ١٣٦٣هـ.

٣- أصداء الزمن الكنيسة وكفاحها من أجل الوجود، يان دوبراتشينسكي، ترجمة الدكتور كبرو لحدو، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق.

٤ - أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ترجمة د/ زينب عصمت راشد، د/ أحمد عبدالرحيم مصطفى، الطبعة الثالثة، دون ذكرلتاريخها، دار المعارف، مصر.

٥ - الأصول الوثنية للمسيحية، إدغارويند، كارل غوستاف، ترجمة سميرة عزمي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

٦ - الأعلام ،الزركلي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢ م، دار العلم للملايين.

٧- الإلحاد وأسبابه د/ زينب عبد العزيز، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، دار الكتاب العربي، دمشق.

٨- الإمبراطورية الرومانية، د /مصطفى العبادي، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٨١م.

٩- أنشتين غاليلو ونيوتن، فرانواز باليبا، ترجمة د/ سامي أدهم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

١٠- بنية الثورات العلمية، توماس كون، ترجمة شوقي جلال،١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م.

١١- تاريخ البشرية، أرنولد توينبي، ترجمة د / نقولا زيادة، الأهلية، بيروت، ١٩٨٨ م.

١٢- تاريخ الثورة الفرنسية، ألبير سوبول، ترجمة جورج كوسى، الطبعة الرابعة، ١٩٨٩ م، دار منشورات عويدات، بيروت.

١٣- تاريخ الحضارات العام، مجموعة من المؤلفين، تعريب، يوسف أسعد داغر، فريد داغر، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان.

١٤- التاريخ اليوناني، د/ عبد اللطيف أحمد علي، دار النهضة العربية بيروت،١٩٧٦م.

١٥- تاريخ أوربا في العصور الوسطى، د/ سعيد عبد الفتاح،دار النهضة العربية.

١٦- تضحيات في سبيل العلم، د / محمد عمر الحاجي، الطبعة الأولى ،١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧ م، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا.

١٧ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مكتبة الحرمين، الرياض.
١٨ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، دار الفكر، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ، بيروت.
١٩ - الجامع لأحكام القرآن،القرطبي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٠ - جذور البلاء، عبد الله التل، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢١ - الجفوة المفتعلة بين العلم والدين، محمد علي يوسف،١٩٦٦م،دار مكتبة الحياة، بيروت.
٢٢ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، دار الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٢٣ - الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، دون ذكر لرقم الطبعة.
٢٤ - زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، الطبعة الرابعة،١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م، المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٥ - شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون، كمال الدسوقي، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢٦ - العالم ، ديكارت، ترجمة أميل خوري، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

٢٧- عصر الإلحاد، محمد تقي الندوي، ترجمة د/ مقتدي حسن، دار الصحوة للنشر والتوزيع.

٢٨- العلم في مواجهة المادية قراءة في كتاب حدود العلم لـ"سوليفان" ، د/عماد الدين خليل، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م . مؤسسة الرسالة.

٢٩- العلمانية، د / سفر الحوالي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢ ، مطابع جامعة أم القرى.

٣٠- العهد الجديد، الطبعة الثانية، ١٩٩١م، دار المشرق، بيروت، لبنان.

٣١- العهد القديم، الطبعة الثانية، ١٩٩١م، دار المشرق، بيروت، لبنان.

٣٢- فتح القدير، الشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٣- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د/ محمد البهي، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، مكتبة وهبة، القاهرة .

٣٤- الفكر الأوربي ترجمة د / محمد غلاب، مراجعة، د / إبراهيم مدكور، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٥- فلسفة الثورة الفرنسية، برنار غروتويزن، ترجمة عيسى عصفور، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، دار منشورات عويدات ، بيروت.

٣٦- قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، دارالجيل، للطباعة والنشر، بيروت.

٣٧- قصة النزاع بين الدين والفلسفة، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م، مكتبة مصر .

٣٨- كواشف زيوف، عبد الرحمن الميداني، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار القلم، دمشق.

٣٩- لا نزاع بين الدين والعلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار النفائس، بيروت.

٤٠- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٤١- مبادئ الفلسفة، ترجمة د / عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٤٢- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، الطبعة الثالثة،١٣٨١هـ/١٩٦١م، دار الفكر العربي.

٤٣- مدخل لدراسة التاريخ الأوربي (٢٥٩). د/ محمد مخزوم، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان .

٤٤- مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، د/ عماد الدين خليل ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، مؤسسة الرسالة.

٤٥- المذاهب الاقتصادية الكبرى ، جورج سول، ترجمة راشد البراوي.

٤٦- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م، دار الشروق.

٤٧- المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ترجمة د/ عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٤٨ - معالم تاريخ الإنسانية، ولز، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢ م.

٤٩ - من كوبرنيكوس إلى أينشتين، هانز ريشناخ، ترجمة د/ حسين علي، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

٥٠ - من قضايا الحضارة المعاصرة العلاقة بين العلم والدين، د/ نعمان عبدالرزاق السامرائي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، مكتبة المعارف، الرياض.

٥١ - موسوعة أعلام الفلسفة، روني إيلي ألفا، مراجعة د / جورج نخل، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٢ - موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٤م، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن.

٥٣ - موقف الإسلام والكنيسة من العلم، عبد الله المشوخي، الطبعة الأولى،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

٥٤ - موقف الدين من العلم، علي فؤاد باشكيل، ترجمة أورخان محمد علي، دار الوثائق، الكويت.

٥٥ - النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة، محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، دون ذكر لمعلومات النشر.

٥٦ - هداية الحيارى، العلامة ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

فهرس الموضوعات